



الدعوة الإسلامية ودورها

في

مواجهة التنصير

بمنطقة النيل الأزرق



محمد أحمد المبارك
مجمع ود سلمان الإسلامي
السودان

الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة التنصير



- ولد الشيخ/ محمد أحمد المبارك بقرية ود سلمان، محلية سنار سنة ١٩٤٦م.
- تخرج في جامعة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ١٩٧٦م.
- حصل على ماجستير في الدعوة الإسلامية من كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة القرآن الكريم سنة ٢٠٠٢م.
- حصل على عدة دورات تدريبية:
- التعليم طريقة ومادة في مرحلة الأساس ١٩٦٧م ودورة بمعهد الفasher في سنة ١٩٧٠م.
- منتدى دعوي مع الملحقية السعودية بالخرطوم سنة ١٩٩٩م.
- عمل في مجال الدعوة بجمهورية اليمن، منطقة سبأ، ومعلماً بمدرسة بلقيس القجلة ١٩٧٨م.
- منذ ١٩٧٨م وحتى الآن يعمل مع الملحقية السعودية بالخرطوم في حقل الدعوة الإسلامية بمنطقة النيل الأزرق بالسودان.
- له عدة أنشطة فإلى جانب إدارة مناشط الدعوة بمحلية سنار بولاية النيل الأزرق يقوم بمتابعة عمل كافل اليتيم بالولاية الوسطى مع البلاد العربية ١٩٨٠ - ١٩٩٠م
- متعاون مع منظمة الدعوة الإسلامية في نفس المنطقة مما أدى - بعون الله وتوفيقه - إلى إسلام ما يزيد عن سبعة آلاف شخص.
- يعمل الآن إلى جانب عمله مع الملحقية السعودية بالخرطوم مديراً لمجمع ود سلمان الإسلامي الذي يحتوي على مدرسة قرآنية • عبادة طبية ومركز للمهتدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة التنصير في منطقة النيل الأزرق

تأليف
محمد أحمد المبارك
ماجستير في الدعوة

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية ٣٧٩ / ٢٠٠٥
الرقم الدولي (ردمك) : ٦-٦٥-٦٩-٩٩٩٢١

قال تعالى :

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ
مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

البقرة : آية ١٢٠

قال ﷺ :

(والذي نفسى بيده لا يسمع بى أحد من
هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى

إلا دخل النار)
رواه مسلم عن أبى هريرة ، مرفوعاً

إلهرا

إلى أمي ، وأبي مدرك راية النوحيد حين
ثلا طمت أمواج الشك في منطقة سنا. إلى طيب
الذكر الشهيد / عبد السلام سليمان سعيد .
والى روح ابني الشهيد / خالد محمد أحمد .
إلى كل الشهداء الذين عاشوا كالشموس
نعيش على ضوئها الأحياء ، إلى كل الدعاة
والمؤسسات الدعوية التي يشع منها نور القرآن
على أطراف وطننا الناهض على أن يكون على
هدى وسراج منير إلى كافة أصحاب الطموح
والفكر على طريق الحق واليقين .

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ، عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يشكرُ الله من لا يشكر الناس) .
فإنه يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخوة الذين لم يبخلوا عليّ بنصح أو إرشاد أو توجيه ، وأخص منهم شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور أحمد على الإمام مستشار رئيس الجمهورية لشئون التأصيل ، وأشكر كذلك وأقدر الملحقية السعودية الدينية بالخرطوم لمساعدتهم لي في إنجاز هذا البحث ، ولا أنسى كذلك أن أشكر كافة الأخوة والزملاء والدعاة بمكتب الملحق الديني الذين وجدت منهم التشجيع، وكذلك الشكر للأخ د . محجوب أحمد طه لما لمسته عنده من تشجيع وتوجيه . والشكر موصول أيضاً للأخ الشيخ سر الختم عكاشة الذي قام بتنسيق هذا البحث وإخراجه في هذا الكتاب بهذه الصورة فجزاه الله خيراً...
وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي وشيخي الجليل د . عبد الله عبد الحي أبوبكر عميد عمادة شئون الطلاب بجامعة القرآن الكريم ، فقد كان نعم المشرف الحريص على بحث تلميذه ، فلم يتوان في تقديم النصح والتشجيع المستمر ولم يأل جهداً في إرشادي وتوجيهي فجزاه الله عني خير الجزاء وشكر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

الحمد لله الذي أوقد جذوة الإيمان في قلوب عباده المؤمنين ، واختار من بينهم من ركبوا عالي الهمم ، فرحلوا عن ديارهم تاركين الأهل والولد ، وتوكلوا على عقيدتهم ينشرون فلاح أمتهم باتباع دين الإسلام والنور الذي جاء به . فامتطوا مطاياهم عبر السهول والوديان وبين الأحراش وأعالي الجبال لتبليغ أمر الله ونشر دينه غير آبهين بما يصيبهم وما يلاقونه من عنت وتحديات قوى الشر والباطل .

ومن بين النفر الكريم نذكر الأستاذ الباحث الشيخ الجليل محمد أحمد المبارك والذي تخرج في جامعة المدينة المنورة عام ١٩٧٠ وعمل باليمن الشمالي منطقة سبأ عام ١٩٧٨ ويعمل حالياً مبعوثاً للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي بالسودان منذ عام ١٩٧٨م وحتى تاريخه .

نال درجة الماجستير العام من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بدرجة جيد جداً وموضوعه « الدعوة الإسلامية ودورها بمنطقة النيل الأزرق » . وله نشاط مقدر وإسهامات كثيرة .

- ١ . تقديم برامج دعوية بتلفزيون ولاية سنار بمواضيع متنوعة تخص الدعوة .
- ٢ . قيام مجمع ودسلمان الإسلامي بمنطقة سنار محلية السكر مما أدى لإسلام أكثر من ٥٠,٠٠٠ (خمسة ألف) فرد من قبائل التماس والتداخل اللغوي والتمازج الحضاري ولله الحمد والمنة . ويحوي هذا المجمع مدرسة قرآنية وتلاميذها بالصف الثامن ويقوم بتوفير وتقديم العلاج لكافة المواطنين بالمنطقة .
- ٣ . ولكثافة هذا المد والإقبال على الإسلام فيه فهو يرفع قيام معهد عالي يعتني بعلوم القرآن والسنة لاستيعاب الطلاب بالمنطقة ليكونوا دعاة المستقبل

ونواة تذخر بنور المعرفة وتبليغ الدعوة على هدى ومعرفة .

إن المنطقة التي عناها الأستاذ محمد أحمد المبارك هي منطقة النيل الأزرق، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة في السودان تعتبر جسراً هاماً ، حيث أنها تربط بين الأمة الإسلامية العربية والأمم الأفريقية ، ومن ثم فإن أمم الضلال تتكالب لإزالة وطمس الهوية الإسلامية في السودان عامة وهذه المنطقة خاصة . ومن هنا برز هذا البحث والذي يرجو مقدمه أن يعم الإسلام ليكونوا على بصيرة من أمر دينهم ونبراساً هادياً للدعوة بالسودان خاصة مناطق التماس .

امتطى الأستاذ محمد أحمد المبارك همته مستعيناً بالله والنور الذي بين جنبيه وأعد خطته وقام بمسح ودارسة تلك المناطق سالكاً ومتخطياً وعورة الطرق ، غايته نشر دعوته بين تلك القبائل ملتمساً من الله سبحانه وتعالى هدايتهم من ظلمات الشك إلى نور اليقين ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

جزى الله الأستاذ محمد أحمد المبارك خير الجزاء وكتب له في كل خطوة خطاها وفي كل كلمة قالها وفي كل دعوة دعى بها الأجر العظيم إنه نعم المولى ونعم النصير.

ونسأل الله له التوفيق والسداد وأن يعم بنفعه جميع المسلمين.

،،،،، ولله الحمد أولاً وآخرأ،،،،،

بروفسير / الزبير بشير طه

وزير العلوم والتقانة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، مخرج الناس من ظلمات الشك إلى نور اليقين ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادقرب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، الرسول الأُمي الذي وضع الاستدلالات الوثيقة التي تناولت بالرد على الشبه السائدة لدى معارضيه ، والشبه التي يمكن أن يختلقها الجدل ولن تعرف الأعصار المتطاولة حتي قيام الساعة كتاباً مثل القرآن يعرض قضية الإيمان فتعم الأعصار المتطاولة حتي قيام الساعة ، يعرض قضية الإيمان ويحيطها بأنواع الأدلة ، معتمداً على حرية العقل والضمير في إحقاق الحق وإبطال الباطل .

(أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ❖ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ❖ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ❖ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) . (١)

ومحمد ﷺ دافع عن قضية التوحيد ، يطلب من خصومه الدليل وينتقل من دفاعه عن التوحيد إلى الجو الذي ينتظر ميلاد الإيمان الصحيح فيه ، هو جو العلم والحرية النبيلة والطمأنينة الشاملة وهو ما ينشره الإسلام كافة .
فقد يؤمن بعض الناس بفساد ، ويؤمن آخرون بالمواجهة ، ويؤمن البعض بانتقال الديانات من الأخلاق إلى الإسلام .

لكن المثل الأعلى الذي رسمه القرآن الكريم الإيمان هو تفكير هادئ واع في آفاق السماء والأرض يقود المرأ وهو معلق القلب برب السموات والأرض . هذا ما تعلمناه من القرآن حين يقول تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ❖ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ❖ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ❖ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن أَنْصَارٍ ❖ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ...
(الآية (١)).

أما التقليد المجرد ومتابعة الآباء فيما يأخذون ويتركون من الأديان السماوية
والسير الفاضلة دون معرفة هدف أو تبيين طريق فهذا ليس شأن الإنسان ،
فإنه حال القطعان التي تأكل وتشرب وتفترق وتلتئم على طريقة دون ما خصم ،
وهذا ما عابه القرآن على عبَاد الأصنام . (وإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ❖
وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى
فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (٢) .

واجه الإسلام قديماً أقوماً من أهل الكتاب دخلوا فيه طوعاً وخرجوا منه ضاراً
، قال تعالى : (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَجَءَ النَّهَارُ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ❖ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٣) .

ومع ذلك قبل الإسلام - وهو عقيدة صافية وشريعة صافية - أن يعيش في
رحابه اليهود والنصارى يشكلون مع المسلمين مجتمعا واحدا لهم فيه ما
للمسلمين وعليهم ما عليهم . إلا أن أكثرهم استغل سماحة الإسلام فأساءوا
إليه، وشككوا فيه وذلك باعتناقه والخروج منه .

وفي هذا العصر يحاول كثير من أعداء الإسلام إباحة الارتداد والتقل من دين
إلى دين ، وهم لا يقصدون إلا الاحتيال على الشريعة والعبث بالعقيدة .

فقد زعموا للوثنيين من قبائل جنوب النيل الأزرق أن الإسلام يحجر عنهم تلقي
الثقافات والعلوم التي من شأنها أن ترفع مستواهم الثقافي والعلمي ولا تحتم

١ . آل عمران : ١٩٠ - ١٩٢ .

٢ . البقرة : ١٧٠ - ١٧١ .

٣ . آل عمران : ٧٢ - ٧١ .

عليهم الالتزام بتشريعات فقهية أو تعبدية وبهذه الحيل وغيرها تستقطب
النصرانية السذج من قبائل جنوب النيل الأزرق وغيرها .

أهمية الموضوع واسباب اختياره

النيل الأزرق منطقة واسعة وذات أدغال بعيدة وتذخر بالكيان البشري والاقتصادي ، وتقع على ضفاف النيل الأزرق من بداية منبعه وإلى اتجاهه نحو مصبه عبر شمال النيل الأزرق نحو مصر حتى البحر الأبيض المتوسط .

حيث امتزاج الحضارات الشرقية من لدن الأديان السماوية حتى الإسلام وتعرضت هذه المنطقة عبر التاريخ الطويل بالانتهاج المتعدد للديانات المتباعدة حيث عبد الناس الأوثان واعتمدوا الكجور .

قال تعالى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١).

وانتقلت إليهم الديانات السماوية وانتشرت وسطهم هذه الأديان حتى أضحت السمة التصيرية هي التي تهيمن على المنطقة .

وبدخول الإسلام خلال الفترة المواتية لقيام دولة الفونج قبل ثلاثة قرون مضت أتاحت الفرصة للتوسع الإسلامي في أدغال النيل الأزرق فكان نصرٌ من الله وفتحٌ قريب .

وقد دخل الإسلام عن طريق المتصوفة وحملة المذهب المالكي والذي يسلكه أهل الملة الوافدين إلى أرض السودان وشرق وشمال أفريقيا . ولأن السودان كان يضم حتى تخوم الحبشة وإريتريا كل مناطق غرب أفريقيا الحالية .

(١) وضعت هذه المنطقة هدفاً لجماعات التصير بحكم تاريخية وبحكم تقليدية التدين وانتشار الجهل بالقيم الإسلامية ، وقد تم نشر إمكانات العمل التصيري وتطوير مؤسساته الكنسية وأساليبه التبشيرية وسط الأقليات ،

واستهداف المستضعفين من المسلمين ، في منطقة إقليم النيل الأزرق الذي يمتد من أقصى الكرمك وقيسان إلى ولاية الجزيرة .

(٢) كذلك وجود تجمع كبير من النازحين جلبتهم حوجة العمل بالتصنيع في المناطق الصناعية أي صناعة السكر وعمالة المشاريع الزراعية بولاية النيل الأزرق ووجود تحركات المتابعة الكنسية لذلك ، والقيام ببناء الكنائس التقليدية بالمواد المحلية ، وأثر ذلك على الاختلاط بين القبائل المسيحية والقبائل المسلمة والذين يشكلون استقراراً بمنطقة واحدة .

(٣) إن التركيز على نشر الثقافات الأفريقية القديمة من كجور وشعوذة وسحر . كما في قوله تعالى : (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) (١) بدعوى العودة لأصول الحضارة الأفريقية كان المزاج النصراني ما قبل التاريخ المسيحي .

(٤) دحض التشوهات التي طرأت على العقيدة الإسلامية ونشر دعوة التوحيد في ربوع النيل الأزرق والتي لا يمكن لمجتمع من المجتمعات البقاء بدونها .

منهج البحث

تم القيام بهذا البحث عبر منهج استقرائي من :

- ١ - جمع المعلومات اللازمة لموضوع البحث من المصادر المختلفة ، كتب ، مجلات ، نشرات ، مطبوعات ، مؤسسات دعوية .
 - ٢ - الزيارات الميدانية لبعض مناطق التركيز الكنسي والمنظمات التبشيرية ومتابعة عملها وحصر أنشطتها .
 - ٣ - القيام بتحليل هذه المعلومات وربطها ربطاً تاريخياً للاستفادة من تسلسل الأدوار عبر الحقب التاريخية المختلفة .
 - ٤ - عمل مقابلات شخصية توضح مدى تأثير الإمكانات على مناطق النيل الأزرق ومعرفة أسباب التصير لمعالجة انتشاره .
 - ٥ - القيام بتحريرات صحيحة للحالات المتطورة في مناطق النيل الأزرق ومعرفة أسباب التصير لمعالجة انتشاره .
 - ٦ - قمت بتوفير إحصاءات عن النشاط الكنسي والنشاط الدعوي الإسلامي .
 - ٧ - السعي لإيجاد وثائق لمقارنة الوقائع التصيرية وأهدافها وسط المجتمع المسلم بالنيل الأزرق .
- رسم خريط توضح مناطق التبشير الكنسي والقبائل لمنطقة النيل الأزرق وسكان المنطقة ووعورة المسالك والطرق والجبال والوديان والخيران .

العقبات التي واجهت البحث

- هذا الموضوع متداخل ومتسع وقليل المراجع بل هي معدومة مع صعوبة البحث الميداني لوجود بعض المناطق المرتبطة بالبحث في مواقع مناوشات الخوارج.
- حداثة الدراسات في مجال التنصير بصفة خاصة حتى غابت ملامح الدراسات الدقيقة ، وتعذر تناول هذا الموضوع بكلياته فقط عبر مواقف مؤسساته الدعوية والمشاريع الاقتصادية والصناعية وضعف توجه المؤسسات التعليمية والدينية تجاه هذه المواضيع المختصة .
- وثائق عمل التنصير الحقيقية وصعوبة التوصل إليها من الجهات الرسمية وعدم وجود دراسات في هذا الإطار ، وصعوبة الدخول للكنائس ، مما يضطر الباحث تناول جوانب محدودة يتوصل من خلالها للمعلومات المطلوبة .
- أغلب العمل في هذا البحث تم استساخه بصورة شخصية وذلك لصعوبة نقل المعلومات والإيفاء بها .
- رؤية الجهات المسئولة والإدارية المحدودة تجاه المعاشة الدينية وتقلب آرائها حول رفض عمليات التنصير تارة ، وموافقة المعاشة السلمية معه تارة أخرى، وحقوق غير المسلمين في دولة إسلامية مرة ثالثة ، وكذلك إحتياجات المتغيرات السياسية .
- عدم وجود بحوث حول تأثير التنصير على المسلمين في تلك المناطق وخطره عليهم .
- عدم وجود خطط موضوعية للمحافظة على المجتمع المسلم الذي يتعرض لهذا الزحف التنصيري .

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وعدة مطالب ومباحث ، وخاتمة اشتملت على خلاصة البحث ، والتوصيات المقترحات .

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب الاختيار وبعض الدراسات المسبقة حول الموضوع ومنهج البحث وخطة البحث التي جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول :

والذي هو بعنوان دخول النصرانية في أفريقيا ، وقد قسم إلى مبحثين وثلاث مطالب ، مهدت لهما بدخول الإسلام في أفريقيا ، ثم دخول النصرانية في البلاد الأفريقية ووضع النصرانية في شمال أفريقيا ، ثم ذكرت بعض وسائل التنصير في شمال القارة وختمت الفصل بمبحث حول إحكام الحزام التنصيري على أفريقيا .

الفصل الثاني :

مهدت له بدراسة عن المنطقة (جغرافية النيل الأزرق) ثم تحدثت فيه عن المناطق المغلقة ، والعمل التنصيري تحت غطاء العمل الخيري ، ذكرت فيه دراسة آثار اللهجات المحلية وتصنيف الأجناس والتأثير عليهم من خلال ذلك ثم تناولت كيف تمت الاستفادة من الظروف المعيشية والكوارث والحروب في استغلال الأطفال وتعميدهم .

الفصل الثالث :

وهو بعنوان الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة ، بحثت فيه دور الدعوة الإسلامية ووسائلها في المنطقة مع ذكر الرقعة المطلوب تغطيتها دعوياً ، وذكرت دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية وتحدثت عن الكوادر المخلصة ، وانتشار المراكز التعليمية ، وذكرت وعورة المسالك والطرق وإمكانات الكنيسة الهائلة ، وفي المبحث الثاني ذكرت العمل الدعوي في المنطقة .

الختامة :

وتناولت فيها خلاصة البحث والآثار والنتائج ، ثم المقترحات والتوصيات ،
وختمتها بعدد من الملاحق عن الكنائس ، ثم فهارس الآيات والأحاديث والمراجع
وفهرس الموضوعات .

الفصل الأول

المبحث الأول :

حركة التنصير في أفريقيا

تمهيد : دخول الإسلام في أفريقيا

المطلب الأول : دخول النصرانية في أفريقيا

المطلب الثاني : دخول النصرانية في شمال أفريقيا

المطلب الثالث : بعض وسائل النصرانية في شمال أفريقيا

المبحث الثاني :

إحكام الحزام التنصيري على أفريقيا

تمهيد : دخول الإسلام أفريقيا :

بعد بعثة رسولنا الكريم محمد ﷺ هاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة فراراً من اضطهاد قريش لهم وذلك بناءً على توصيته ﷺ بخروجهم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه .(١)

وقد باشر المسلمون الدعوة بالحبشة لأنهم مأمورون ، وقد أسلم النجاشي الذي صلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب عند موته .(٢)

كما أن مصر بالرغم من وجود الاحتلال الروماني ، وتأخر وصول دعوة الإسلام إليها وحرص الرومان على أن لا ينتشر الإسلام فيها وعلى أن تعيش القارة الأفريقية وغيرها من القارات بلا إسلام حتى يسهل عليهم استنزاف طاقاتها وخيراتها التي لا تستطيع الحياة بدونها .

تحررت مصر وأفريقيا كلها (٣) على يد الصحابة الميامين رضوان الله عليهم . وفي عهد الدولة الأموية كانت أفريقيا قاعدة إسلامية تنطلق منها الجيوش لنشر دين الله عز وجل، فقد عبرت الجيوش الإسلامية الشمال الأفريقي إلى الأندلس حيث أسقطت حكم الطغاة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وبعد قيام الدولة العباسية في بغداد ، واستمرار حكم الأمويين للأندلس تعرض الشمال الأفريقي لأحداث سياسية أدت إلى قيام دويلات تتازع العباسيون و الأمويون الخلافة فيها . ومن أخطر هذه الدويلات دولة الشيعة ، التي زعم مؤسسها أنه ينتسب إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ ، ومع ذلك ظلت أفريقيا تفاخر بدينها وتعيش حياة كلها تدين ورخاء .

١ . السيرة النبوية - ابن كثير - تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٦هـ - ص ٤ .

٢ . المصدر السابق ص ٢٩ .

٣ . أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ أفريقيا : د. جمال عبد الهادي / محمد مسعود / د. وفاء محمد رفعت - دار الوفاء للطباعة - المنصورة - الطبعة الثالثة (٤١) ١٩٩١م.

المطلب الأول : دخول النصرانية في أفريقيا :

كانت تسود القارة الأفريقية قبل دخول المسيحية عبادة الأوثان ، كما كان الرق من أبشع الأعمال التي يمارسها الغربيون في القارة السوداء ، ثم تسلمت النصرانية إلى القارة وانتشرت فيها خلال القرن الثاني إلى السابع الميلادي وعمت النصرانية شمال أفريقيا من مصر إلى أقصى المغرب . (١)

فلما جاء الفتح الإسلامي الأول في القرن السابع ، ثم الثاني في القرن الحادي عشر جرف كل آثار النصرانية هناك إلا ما كان للقبط بمصر والحبشة حتى بعد مجيء الاسلام ، عادت النصرانية مرة أخرى بواسطة جمعيات التبشير المسيحي إلى العمل بين الزوج الفيتشن ولكنك ترى دعائها في سواحل زنجبار ، ونواحي البحيرات الكبرى وفي وادي وادي وحول بحيرة تشاد . وفي البلاد الواقعة بين منحدر النيجر منابع السنغال يتصادمون مع طبقة فاس ورجال الطرق الصوفية والأزهر الذين يأبوا النصرانية بأي وجه كان . فمنذ بداية القرن التاسع عشر اشتدت المزاخمة بين هاتين الديانتين وتسابقتا على السيادة الدينية والسياسية ، وبالرغم من انتشار المسيحية في نهاية القرن الثاني الميلادي في ثلاثة أقطار أفريقية هي مصر والشمال الأفريقي وأثيوبيا ، ظهرت بعد ذلك بضع ممالك مسيحية في الإقليم المتاخم لأثيوبيا وقد استقرت في الشمال الأفريقي لأنها لم تتعمق في القارة الأفريقية ، إلا قليلا ولم يبق إلا الكنيسة القبطية في مصر ، كما أصبحت الكنيسة الحبشية في شبه عزله ، فقد تقلصت في مصر إلا عددا قليلاً واختفت في النوبة في السودان بسبب الهجرات العربية واستعرا ب النوبة ، وفي الحبشة تلاشت إلا من الطبقة الحاكمة ، وفي مقابل تدهور المسيحية كان الإسلام يحرز انتشاراً عريضاً واستقطاباً واسعاً بين الأفريقيين ، وشكل دولا

١ . انظر قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي ، أمبابي لويسير - دار جامعة أفريقيا ١٩٩٥م -

ومماليك ، فقد قامت دولة الفاطميين في مصر ، والأدارسة في المغرب ،
والأغالبة في تونس ، والمرابطين في المغرب العربي . (١)

ثم دخلت المسيحية في أفريقيا في التاريخ الحديث بعد الكشوفات الجغرافية يحملها الرجل الأبيض من البرتغال إلى غرب أفريقيا وشرقها ، مرت بثلاث مراحل وتطورت عدة مرات ، وقد فشلت فشلاً ذريعاً في تنصير المسلمين في غرب أفريقيا وشرقها ، ومرحلتها الأولى منتصف القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث مارس التنصير المباشر في ديار المسلمين . بعد ذهاب البرتغال ودخول مذاهب وجنسيات أخرى ، وبعد ظهور وتطورات أخرى في أوروبا الغربية ، أهمها ظهور الثورات الكبرى كالفرنسية والصناعية ، وظهور تطورات اقتصادية واجتماعية وثقافية كبرى تبعاً لذلك ، مثل حركة تحرير الرق ؛ تغير أسلوب التنصير في غرب وشرق أفريقيا ، ودخلت إنجلترا وأمريكا بمذهبهما البروتستانتى ، وكنايسها الحديثة التي بدأت تتنافس روما البابوية في استقطاب المنصرين الجدد ، ورغم تغير الأسلوب حيث استعانت كنائس إنجلترا بطبقة (الكيرول الجديدة) في غرب أفريقيا ، وهي طبقة مهجنة ثقافياً ومكونة من الأرقاء المحررين في إنجلترا وأمريكا . ورغم الأسلوب المرن المنفتح الذي اتخذه القس الغي جون لويس كرايف الذي أوفدته الكنيسة الأسقفية الإنجليزية في شرق أفريقيا ، ومعه مساعديه لفنجستون وستانلي في شرق ووسط أفريقيا في بذر بذرة المسيحية وسط القبائل الوثنية في كينيا ويوغندا وبعض مناطق وسط وشرق أفريقيا .

كما أن إرسالية الكنيسة التبشيرية التي ينتمي إليها رايف ، والجمعية الجغرافية الانجليزية التي ينتمي إليها لفنجستون واستانلي ، كلها قامت بجهود ضخمة في سبيل دراسة البيئة الاجتماعية والطبيعية ، إضافة لدراسة اللغات واللهجات

١ . البيانات التقليدية في أفريقيا : هوبير دتتيان - ترجمة أحمد الصادق .

المحلية والديانات التقليدية المختلفة ، وإضافة لدراسة الوثنية دراسة علم الأجناس للقبائل الأفريقية المختلفة في المنطقة ، كل ذلك قدم خدمة ممتازة للجهود التنصيرية الحديثة ، هيأت المناخ المناسب لفرض النصرانية بأسلوب حديث عن كل الأساليب السابقة ، ثم بدأت الهجمة الاستعمارية الشرسة على أفريقيا والعالم الإسلامي بعد أن مهد لها المبشرون الذين كانوا ينظرون جميعهم للأفريقي كمشروع مشترك وإن اختلفت أسبقياتهم فكان الاستعمار الأوربي الحديث حلقة من حلقات التنصير ومرحلة من مراحل الحرب الصليبية على الإسلام ، ولعل هذه الحقيقة تظهر بوضوح في استعمار فرنسا للجزائر ، حيث اعترفوا دون موارد بهدفهم القضاء على أعداء النصرانية ويقصدون به الإسلام بلا شك . (١)

١ . النشاط المسيحي في أفريقيا: ورقة مقدمة للمركز الاسلامي الخرطوم ١٩٨٥م - د. عبد الرحمن احمد عثمان .

المطلب الثاني : دخول النصرانية في شمال أفريقيا :

على الرغم من وجود تجمع كنيسة صغيرة للغربيين في كل الأقطار الأربعة إلا أن مواطني شمال أفريقيا يشاركون في هذه التجمعات وفيما عدا المنصرين . فإن الأمريكيين والبريطانيين النصاري من غير شمال أفريقيا والذين يعملون في الأقطار ، نادراً ما يحاولون الدعوة للنصرانية خوفاً من أن يعرضوا وظائفهم ومصالحهم الشخصية للخطر ، إلا قليلاً من (النصاري) المصريين والباكستانيين واللبنانيين والفلسطينيين الموجودين بصورة رئيسية في ليبيا ، قد تجدد إيمانهم بالمسيح ولهذا لا يوجد لديهم إلا دوافع ضئيلة جداً لكسب أتباع من المسلمين إلى النصرانية .

لقد كان العمل التنصيري البروتستاني موجوداً منذ قرون ولكن هنالك عدد كبير من العاملين ، فمن بين الطوائف الوثنية لم يحاول إلا المتدينون الأوائل فقط وإلى حد ما أخوة بليموث إنشاء كنائس للمتصيرين من المسلمين . وحتى وقت قريب لا يوجد دليل كاف على أن الجماعات الطائفية قد بدأت مجرد التفكير ، ناهيك عن التخطيط لإنشاء كنائس . إن مجرد (تبليغ الدعوة) كان يعتبر هدفاً كافياً . (١)

أما اليوم فكنيسة يسوع المسيح موجودة في شمال أفريقيا ، ولكن لا توجد كنائس منظمة بقيادة رجال من أبناء شمال أفريقيا ، في المغرب توجد سبعة مجموعات تقيم شعائرها ، ثلاثة في الجزائر ، واثنان في تونس ، وفي ليبيا مجموعة واحدة ، ويقدر عدد النصاري في المغرب بحوالي مائتي شخص يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ، وربما يوجد حوالي ٦٠ شخصاً في الجزائر أما في تونس فهناك حوالي ١٥ شخصاً ، وعلى الرغم من أنه كان يوجد بعض المنصرين في ليبيا سابقاً ، إلا أنه « يوجد الآن شخص واحد يعلن بصراحة عن نصرانيته » . (٢)

١ . ٢٧٧ - ٢٧٥ - ١٩٦١ HEQQOY

٢ . GANGON GOHNSTOW TOMISN

المطلب الثالث : بعض وسائل النصرانية في شمال أفريقيا :

الوسائل التي اتخذها النصارى للتصير وسط المسلمين كثيرة ومتعددة ومتنوعة وتشمل طيفا واسعا يكاد يعجز عن الحصر ، خاصة في الوقت الحاضر كذلك أتبع المنصرون كل وسيلة ممكنة لإبعاد المسلمين عن دينهم .

فرغم زخم المسيحية إلا أن الدول المسلمة تحررت كالجائر عام ١٩٦٢م وشمال الصومال عام ١٩١٢م بقيادة محمد بن عبد الله الحسن . وغيرهم من الدول التي تحررت من الهجمة الاستعمارية فبدأت استراتيجية جديدة كما في شمال أفريقيا . ١ - زيادة عدد المنصرين في شمال أفريقيا .

٢ - إرسال منصرين من الذين يستطيعون أداء العمل .

٣ - البحث عن طريق الابقاء على عدد من المنصرين في الأقطار .

بحيث يتمكنون من تخصيص ثلاثين ساعة للعمل وسط المسلمين .

- تجنيد الذين لا يخافون ولا يترددون ، ويبحثون عن مواطنين من شمالي أفريقيا ، ويكشف من بينهم شخصيات من أمثال كورثيليوس (أعمال الحرب) أعمال الرسل بمعنى إيجاد أشخاص لا يسهل تخويفهم وتهديدهم بما يقوله أصدقائهم وأقاربهم وأسرههم بحيث ينظم العمال الأجانب . (١)

المبحث الثاني

إحكام الحزام التنصيري على أفريقيا

عملية التنصير في دول العالم الثالث وأفريقيا كانت تحدي يواجه الكنيسة حاولت عبر واجهاتها الاستعمارية القيام به على مر العصور نسبة لمحاذاة هذه القارة للشرق الأوسط مهبط الوحي ، ومنطقة التيارات العقدية الأخرى تأثيراً لوجود الإسلام والتجمعات اليهودية ، فكان لا بد من وضع رؤى لتقبل المسيحية خلال هذه الأوساط فقد أجريت الدراسات الإحصائية الدقيقة عبر المؤسسات المسيحية خاصة أعضاء (كلين فولر) الإرسالية لتنصير العالم ، وكانت هذه البحوث دراسات يقدمها المنصرون من تلك الكلية ، كإضافة دقيقة لغزو القارة السوداء ، وجادت الدراسات في إطار دراسة جنوب الصحراء كم منطقة نفوذ إسلامي كبير . وجاءت الدراسة حول تقييم: (١)

(أ) نظرة للإحصائيات :

أولاً : الذين لم يتم تنصيرهم هم حوالي ٧٠ إلى ٨٠ مليون وهذا يأخذ الاعتبار الواسع لجهاز الراديو وأنماط الهجرة النصرانية إلى المدن ووجود الجماعات الدينية الحرة والأرثوذكسية في كثير من المناطق . كما قدمها (ويفيد بادين) في كتابه المقدس شعوب المناطق الحدودية . (٢)

وتم تقسيم المناطق إلى ثلاث فئات :

- ١ - دول نسبة المسلمين فيها ٧٠٪ مثل جذر القمر ، كامبيا ، غينيا ، مالي ، النيجر ، السنغال ، الصومال .
- ٢ - دول تتراوح نسبة المسلمين فيها ٣٥٪ - ٧٠٪ مثل تشاد - السودان - أثيوبيا - نيجيريا - فولتا العليا .
- ٣ - الدول الأخرى حيث تقل النسبة عن ٣٥٪ (٣)

1. Beave r : ١٩٧٣ - ٢٣٨ - ٢٤١٠ .

2 . Barrett ١٩٧٣ Mare.

3 . Operation .

وهذا يعنى أن ١٤ من ٣٨ دولة تخضع لتأثير الإسلام بشكل كبير وأن للإسلام إمكانية واضحة للامتداد والتوسع في هذه المناطق كلها بالطبع عدا المناطق التي وصلت نسبة الإسلام فيها بالفعل ١٠٠٪ مثل الصومال وجذر القمر وجيبوتي ، هكذا بدت الخطط التنصيرية لترحيل الشعوب وتهجيرها وتغريبها عن دينها .

أما نسبة المسلمين الذين بلغتهم المسيحية والنصرانية في وسط وجنوب أفريقيا من الذين فهموا الكتاب المقدس وعملوا به كالآتي :

أ - في نيجيريا ويوغندا ٥٠٪ ولكن المعدل كان أقل من ٢٥٪

ب - في يوغندا الذين فهموه ١٥٪ ولكن المعدل يتراوح ما بين ١٪ إلى ٥٪

يلاحظ أنه يوجد في أفريقيا ٢١٢ قبيلة بعضها أسلم تماماً والآخر أسلم غالباً وهم بنسبة ٧٥٪ ، ويمر الخط الإسلامي في أفريقيا على امتداد ما يقرب ١٠٠ - ٢٠٠ ميلاً جنوب الصحراء الغربية وتوجد ٢٠٥ قبيلة شمال هذا الخط وتوجد قبائل لا يمثل الإسلام فيها الغالبية ولكنها متأثرة به وقد ظل الخط الإسلامي يتقدم منذ عام ١٩٥٠م وهناك مؤثرات على عمل الكنيسة في المجتمعات التي أسلمت .

مثل قبائل الماكيوندي المتمسكة بدينها منذ ١٩١٠ - ١٩٢٠م واتخذوا أسماء إسلامية وعاداتهم وتقاليدهم وهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية ويصلون الجمعة (مسلمون تقليديون) لكنهم مؤثرين على القبائل . (المتاخمة) (١) وهى قبائل موزمبيق بالرغم من استهداف التنصير لهم وتعدادهم (٥٥٠,٠٠٠) ٩٠٪ منهم مسلمون .

والخطورة أن تنصيرهم يكون تقليدي يحاول التعرف أكثر ، فما كان على فهم القبيلة في الإسلام .

٤- قبائل التوب جنوب نيجيريا (٥,٨٧٠,٠٠٠) حيث يشكلون قوة إسلامية كبيرة

1. Winter : ١٩٧٧ - ٢٥

وقد بدأت جمعية التنصير الكنسية عملاً منتظماً في صفوفهم وفي عام ١٩٠١م نجحت المحاولة لإرسالية السودان الداخلية في تكوين مركز الإرسالية النوبيين وبعد ثلاثة أو أربع أعوام أخرى ، انضمت إلى العمل إرسالية أخرى هي إرسالية جمعية التنصير المتحدة ، وقد ظلت قبائل النوبة لمدة طويلة إسلامية بنسبة ٨٨٪ ورغم العمل المكثف من جانب جمعية التنصير الكنسية في مجال التعليم ، فإن ذلك لم ينتج عنه إلا عدداً قليلاً من النصارى النوبيين فقط .

تشير دراسة أجراها (جير الدسكوانك) عام ١٩٧٠م إلى وجود ١,٥٠٠ نوبي نصراني ينتمون إلى الكنيسة ومع ذلك فإن ٥٠٪ منهم في هذه الأيام لا يعرفون معنى الكتاب المقدس .

هاتان الدراستان توضحان الصعوبة التي تواجه الكنيسة النصرانية في التغلغل في المجتمع الإسلامي . (١)

يقدم لنا باريب خلاصة موجزة لوضع الإسلام والنصرانية في أفريقيا منتصف عام ١٩٧٢ م . (٢)

❖ جدول السكان بالملايين .

أنواع القبائل	القبائل	القبائل داخل الدول	المجموع	المنصرين منهم	غير المنصرين
مسلمين أوتمت أسلمتهم	٢١٣	٢٧٠	١٤٠	٥٧	٨٣
متنصرين مسيحيين	٤١١	٢١٢	١٨٠	١٦٢	١٨
غير متنصرين	٢٣٦	٢٦٣	٤٧	١٨	٢٩
المجموع	٨٦٠	١٠٤٥	٣٦٧	٢٣٧	١٣٠
				٦٥٪	٣٥٪

1. Beaver ١٩٧٣ = ٢٤٨ - ٢٤٩

2 . Status. Of Obristinty contry profiles ١٩٧٤ morrovia, mission advanced research and communication, center.

وانظر التنصير خطة لغزو العالم الاسلامي - أستاذ . محمد شريف الزبيق - جامعة المدينة طبعة ١٩٧٢ م .

هذه الدراسة تعطي نموذجاً لما سيكون عليه الأمر في المستقبل بالنسبة للعديد من الشعوب التقليدية في أفريقيا حيث تتزايد ضغوط الحياة الحديثة ، وضغوط مجتمعاتهم إلى درجة لا يمكن مقاومتها . لقد هبت روح التغيير منذ فترة طويلة وأصبح أتباع الديانات الأفريقية التقليدية البالغ عددهم (٢٩) مليون يبحثون عن عقيدة جديدة والسؤال هو أي العقيدتين الإسلام أم النصرانية ١١٩.

فشلت محاولات التصير في مديرية (منقلا) فقد كان مصير المدرسة التي أنشئت عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م بموجب التعويضات التي عرفت باسم (السيرلي استاك) والتي سميت بمدرسة (السرلي استاك) التذكارية ، والتي كان المعتقد أن تكون أول مؤسسة تعليمية حكومية في الجنوب على قرار كلية غردون التذكارية في الشمال ، لكنها وجدت معارضة شديدة من المبشرين في إشترك الحكومة المباشر في التعليم ، مما اضطر الحكومة إلى إغلاقها وتسليمها إلى الروم الكاثوليك عام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م وبذلك تكون هذه السياسة الاجتماعية والاقتصادية التي عانت ، وما زالت تعاني منها البلاد ، والتي لا تزال رواسبها النفسية جارية تطل برأسها من آن لآخر بالرغم من التغيير الكبير الذي طرأ على الحياة في مختلف جوانبها في تلك الأجزاء من السودان (١).

١ . جنوب السودان - دراسة اسباب النزاع - د. محمد بشير - ترجمة أسعد حليم - الهيئة المصرية للتأليف والنشر - ١٩٧١ - ص ٧٣ .

الفصل الثاني

التنصير وسائله وأساليبه

في النيل الأزرق

تمهيد : دراسة المنطقة (جغرافية النيل الأزرق)

المبحث الأول : مفاهيم التركيز على المناطق المختلفة

والرؤية التنصيرية منذ الاستعمار

المبحث الثاني : التدثر بالأعمال الخيرية والإنسانية

وبث التنصير من خلالها

المبحث الثالث : دراسة اللهجات المحلية

تمهيد دراسة لمنطقة (جغرافية النيل الأزرق)

تقع منطقة جنوب النيل الأزرق شمال خط الاستواء موازية جنوباً لأديس أبابا، أثيوبيا وشرقاً توازي جنوب شرق إرتريا وتوازي غرباً أواسط السودان . (١)

والأجزاء الشرقية للمنطقة الممتدة من الدندر شمالاً إلى يابوس في أعالي النيل جنوباً تكون الجانب الغربي من الهضبة الأثيوبية وهي عبارة عن سلاسل يزيد طولها على خمسمائة متر فوق مستوى سطح البحر ، تتحدر هذه المرتفعات تدريجياً في الغرب وتنتهي بسهول في أواسط السودان .

تتخلل هذه الجبال شبكة من الخيران العميقة ، والوديان الواسعة ، تكون مرتفعات لكركم الكيلي شنقول ، دندروا ، والأنقسنا ، وخط تقسيم المياه الذي يفصل الخيران المتهجة نحو النيل الأزرق ، خور أفد وخور تمت ، وخور أحمر ، وخور أبو سيفين وخور أبو تقروا ، وتقوم على ضفاف هذه الخيران عدد كبير من القرى وتستخدم أحواضها المشبعة بالمياه السطحية في إقامة الجنائن للفواكه على طول امتدادها وتتواجد أعداد كبيرة من الماشية والضأن في فترة الصيف وكذلك الحال في باقي الخيران . (٢)

يقع وادي جرط بين مرتفعات الحبشة وجبال الكركم وأدار ، مكوناً مثلثاً رأسه في شالي ، ويتخلل هذا الوادي الخصب عدة خيران ، حيث يلتقي خور يابوس وخور أرو ليكون خور أبو سيفين ، ويمكن الاستفادة من المياه في هذا الوادي في البستنة وزراعة البقوليات والخضراوات بالإضافة إلى أنه مركز تجمع للعرب الرحل . (٣)

وهناك نهر يابوس الذي يندفع من مرتفعات الحبشة إلى داخل السودان على الحدود الجنوبية للنيل الأزرق حيث يكون واديا خصيبا في مناطق يابوس الغابة

١ . موسوعة تاريخ العالم - السودان وأفريقيا - الجزء السابع ص ٢٨٦٤ - أنظر الخريطة .

٢ . الزبير أحمد جميل - باحث عام - في جنوب النيل الأزرق - المشروع الأمريكى .

٣ . منظمة الدعوة الإسلامية .

وبلاتوما وسنجة والفونج وينتهي بدلتا واسعة بأعالي النيل قبل أن يصل نهر السوبات ، وهذا السهل تغمر مياهه الفيضانات والأنهار في فصل الخريف . ويصبح مرعى غني في فترة الصيف . لأعداد كبيرة من القطعان ، ويمكن أن يستثمر في زراعة الذرة الشامية والبقوليات والبن ، والشاي والأناس وفواكه المناطق المشابهة وذلك بتوفير المدخلات الزراعية .

وهناك منطقة جبل النوم التي يعتبر أكثر المناطق كثافة بالسكان وهي سهل كبير يقع في شرق جبال الكدالو بها نفس الخصائص السابقة . وهي مصدر لمياه الشرب والبستنة . وأخيراً حوض النيل الأزرق الذي يعتبر أكثر المناطق كثافة بالسكان ونشاطاً اقتصادياً حيث حوض خزان الرصيرص والذي يمتد إلى مساحة مقدارها ٧٥٪ كيلو متر تغمره مياه التخزين .

المبحث الأول :

مفاهيم التركيز على المناطق المغلقة والرؤية

التنصيرية منذ الاستعمار

رغم أن هنالك اتفاقية مبرمة بين مصر وبريطانيا لإدارة السودان فيما عرف بالحكم الثنائي ، إلا أن مقاليد الأمور في السودان كانت تدار من وراء ظهر الحكومة حيناً ، وأحياناً أخرى نجد الحكومة المصرية محكومة بلوائح ودساتير الاتفاقية الثنائية التي أحكم البريطانيون تفصيلها وصياغتها وتنفيذها (١) وبالتالي فنحن عندما نتحدث عن هذا الاستعمار والغزو الفكري في هذه الفترة فإنما نعني الاستعمار البريطاني لأن إدارة السودان كانت خالصة لهم دون الحكومة المصرية . لقد وضع المستعمر نصب عينيه تصفية الوجود الإسلامي العربي في السودان وكان يدرك بالمؤتمرات الثقافية والتعليمية ماله تأثير فعلي على الشعوب ولذلك طرق الإسلام العربي في شمال القارة الأفريقية تحت ستار تجارة الرقيق وانطلاقاً من هذا المفهوم شهد السودان بداية الحكم الثنائي ميلاداً لنظام تعليمي جديد هو عبارة عن خلاصة التجارب التعليمية في الهند ومصر. (٢) وضعه وخطط له اللورد كرومر وكتشنر وونجت ودانلوب حكام وقادة الفتح الاستعماري في السودان ووضع أهدافه ، وقام بتنفيذه (جميس كري) الذي عين وزيراً للمعارف في السودان (١٣١٨ هـ - ١٣٣٣ هـ) (١٩٠٠ - ١٩١٤) وقام بجهد كبير في التعليم العام وتتلخص أغراض التعليم وأهدافه في هذه الفترة في الآتي :

- أهداف ظاهرية معلنة .
- أهداف حقيقية خفية .

١ . أنظر بنود الاتفاقية جمهورية مصر العربية رئاسة الوزراء السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٩٥٣ - القاهرة - مطبعة الأميرية ٢١٩٣٥ المواد : ٣ ، ٤ ، ٥ من اتفاقية ١٨٩٩م ص ٦ ، ٧ .
٢ . أ.ل. فسر تاريخ أوروبا الحديث ص ٧٢٦ - ١٩٥٠ - ترجمة أحمد نجيب - الطبعة السابعة دار المعارف ١٩٧٦م - ص ٣٤٠ .

أما الأهداف الظاهرية فقد أشار اللورد كيتشنر إلى بعض الخطوط السياسية لهذه السياسة التعليمية السورية ، حيث حدد في خطابه للشعب البريطاني نوعية التعليم الذي يريده للسودانيين ، ومن يراد تعليمهم من أبنائه ، والخطبة التي سوف تتبع لتنفيذ ذلك حيث قال : « وإن تسألوني عن نوع التعليم الذي أريده وعن الشخص الذي يجب أن يتعلمه ، أقول إن خطتنا يجب أن تبني تدريجياً ، وأن نبدأ الآن بتعليم أبناء زعماء ورؤساء الأقاليم ، ومشايخ القرى والأعيان ، لأن هؤلاء ينتمون إلى جنس يتوفر فيه الاستعداد العظيم للتعليم والمقدرة على الإفادة منه ويجب أن يحصر التعليم في مراحله الأولى في المواد الأولية كالقراءة والكتابة والجغرافية واللغة الإنجليزية ، ثم يأتي الطور الثاني بعد أن تركز هذه المرحلة ، فيوضع منهج أرفع يدخل فيه التعليم الصناعي بما يتناسب ووصايات الجزء الأعلى من وادي النيل وسيكون كبار المدرسين بالكلية من البريطانيين ، ويكون الإشراف على جميع الاختصاصات للحاكم العام

وتلخص الأهداف الظاهرية في الآتي :

- أ . إعداد طبقة من الصناع المهرة بالقدر الذي يفهمون به إدارة آلة الصناعة وتدريب الكتبة الذين يلتحقون بالوظائف الصغيرة .
- ب . نشر قدر من التعليم بين سواد الشعب يمكنهم من فهم الأسس التي تقوم عليها الإدارة الحكومية خاصة فيما يتعلق بالمساواة ووحدة القضاء .
- ج . إيجاد طائفة من الإداريين من أبناء البلد لملاؤ الوظائف الصغرى في الحكومة .
- د . نشر دعوة المسيح في المجتمعات التي تسمح بها .
- هـ . قبول المرتدين من الأديان الأخرى ، ونشر الحضارة والمبادئ الخلقية وإعانة المحتاج وعلاج المريض وتعليم الجاهل ... الخ . (١) وهذان الهدفان المعلنان (د.هـ)

١ . دمبرز : تطور التعليم في السودان ص ٧٢ .

يخصان جنوب ومناطق جبال النوبة وحدها . (١) الأهداف الثلاثة (أ . ب . ج) المعلنة فهي تخص الجزء الشمالي من السودان وهي في مجموعها إذا تأملناها وفحصناها في الواقع نجد أنها تهدف إلى ضرب التعليم الذي كان قائماً في البلاد ، ومحاربة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ونلخص ذلك فيما يلي :

١ - ربط الإدارة البريطانية بالتعليم بحاجة الجهاز الإداري الاستعماري لمجموعات من الكتبة والمهنيين الذين تسند إليهم الأمور الدنيا في ذلك الجهاز
٢ - أما الوظائف الكبرى فهي بلا شك للإنجليز . وهذا الربط في تقديرنا ما هو إلا ذريعة لكي تتحاشى الحكومة الصرف على أي احتياج تعليم لا يلبي طلباتها وحاجتها لأنه لا يُخَرَّج النوعية المطلوبة من الأفراد والأشخاص الذين تريدهم الدولة ، مما يدل على سوء نية المستعمر والدليل على ذلك أن السياسة التعليمية قد تجاوزت أهدافها المطلوبة .

فتخلفت نخبة من السياسيين المثقفين المعجبين بالأكار والمفاهيم الغربية الذين يرون ما هو صالح للإنجليز لا بد أن يكون صالحاً ومفيداً لغيرهما أيضاً ويوجهون للدولة الحاكمة تحدياً يستند إلى مبادئ ومعتقدات الإنجليز في الحرية والتقدم

فحاصرت التعليم الديني في طريق إدخال مواد علمية دون مراعاة للمنهج الموجود . أو تعديله لبعض الثمرة الموجودة ويتمشى مع متطلبات المسلمين وكان من رأي كرومر أن تلطف دراسة بتدريس مواد علمانية وبالتالي فقد رفض جيمس كري التعليم آنذاك افتراضاً بتخصيص إعانة مالية لخلاوي القرآن الكريم التي زادت الأعباء المالية وعانت تطور القطاع التعليمي الحديث المقترح في البلاد . (٢)

١ . امير الصاوي وجعفر محمد علي بخيت مشاكل التبشير المسيحي بالسودان « الخرطوم جمهورية السودان » وزارة الداخلية رقم ١٩٥٢م - طبع مصلحة المساحة السودانية ١٣ - ١٤ .
٢ . د . محمد عمر بشير : تطور تعليم السودان - ص ٧٢ .

ولقد لخص (جرجس سلامة) هذه السياسة التعليمية ، في أن المستعمر قد اتبع فلسفة تعليمية رجعية مبنية على استمرار الازدواج في نظم التعليم بقصد إحداث تمييز طبقي ، والتفرقة بين القادرين وغير القادرين ، وتعيين الفروق بينهم والاستمرار في سياسية اعتبار الغاية من التعليم هي الإعداد الوظيفي ، وكان من نتيجة تلك السياسة أن قوي الميل إلى العمل الحكومي في نفوس خريجي المدارس الحديثة حتى أصبح التعليم في نظرهم مجرد وسيلة للحصول على الدراسات التي تؤهلهم للوظائف . (١)

كانت المرحلة التالية للتعليم على النظام الحديث ، عندما اتجهت سياسة التعليم اتجاهها خطيرا في عام ١٣٤٤ - ١٩٢٥ م . حيث قضت تلك الإدارة بأن تكون اللغة الإنجليزية لغة التعامل وحيث ارتبطت الشهادات بالشهادات البريطانية - كما سيأتي- التي ما زالت بعض الجاليات وبعض المدارس التبشيرية مرتبطة بها وما فتئت الحكومات المتعاقبة معترفة بها إلى يومنا هذا .

وهذا حقل السياسات الصورية وفي حقل التعليم أما ما خفي من السياسات والأهداف التعليمية فتبثتها من خلال القراءة الثانية لنتائج تلك السياسة الظاهرة المعلنة ومن خلال الواقع الممارس في سائر أركان التعليم المنهجي في الخطة الدراسية والمناهج والكتب والمدرسين والبيئة التعليمية وتصرفات الأجهزة الإدارية والتوجيهية ، وأنواع الأنشطة التابعة للعملية التوجيهية وأنواع الأنشطة التابعة للعملية التعليمية نلخصها في الآتي :

- ١- تطوير تقدم الجنوب في اتجاه مدابر الشمال .
- ٢- منع الإسلام من النفوذ إلى الجنوب
- ٣- تذكير الجنوبيين بتاريخ النخاسة ودور العرب المسلمين الشماليين فيه وتجسيم مظاهره بصورة مثيرة للبغضاء .

١ . جرجس سلامة : اثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر - الطبعة الأولى - مكتبة الانجليز

المصرية ١٩٦٦ ص ٨٥ / ٨٧ .

- ٤- توسيع شقة النفوذ بين المواطنين الشماليين والجنوبيين وعدم المساعدة في إحلال روح التفاهم بينهم بوضع مناهج وأساليب علمية مختلفة .
- ٥- التعاون مع الحكومة في تنفيذ سياسة دعت إلى تقسيم القطر وتطويره في اتجاهين متضادين.
- ٦- محاولة إيجاد كيان قومي مستقل ذو طابع مسيحي لعناصر من السودانيين ، والمطالبة بمعاملة خاصة ، كتلك التي تقضي للأقليات ، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف غير المعلنة أطلقت الإدارة البريطانية يد الهيئات التبشيرية والمسيحية في جنوب السودان وجبال النوبة وترك أمر التعليم لها حتى استفحل أمرها .

المبحث الثاني : التدثر بالأعمال الخيرية والإنسانية وبث التنصير من خلالها

أولاً : الخدمات الصحية والاجتماعية؛

الأهداف الأساسية للخدمات الاجتماعية التي تقدمها الإرساليات والكنائس تتلخص في :

- الدعوة الإيجابية لاعتناق المسيحية في أوساط من لا يؤمنون بها ونشر الثقافة المسيحية ومبادئها ، واحتضان المرتدين من الديانات الأخرى وذلك عن طريق إعانة المحتاج وعلاج المريض والتعليم القومي والترفيه لمن يحتاج لذلك .
- نظرة المسلمين للتبشير المسيحي باعتباره يؤدي خدمة هامة وضرورية للمجتمع خصوصاً بأن قيام الإرساليات للخدمات الاجتماعية شجع الحكومة في إهمال مسئوليتها في هذا المجال خاصة في مناطق التخلف حيث تشتد الحاجة لمثل هذه الخدمات مما فتح الباب أمام الكنيسة للتغلغل.

ثانياً : تكثيف الخدمات الاجتماعية ؛

بدأ عمل الإرساليات المكثف في هذا المجال في شمال السودان بصفة خاصة عند إعلان نهاية الحكم الثنائي ورفع القيود عن الهجرة لأبناء الجنوب والنوبة الذين وفدوا للمدن الشمالية للعمل بالحرف غير الفنية كعمل اليومية والخدمة في المصانع والمتاجر والمنازل ولقد كانت هجرة أبناء هذه المناطق تتم بأعداد كبيرة وقد بلغ عدد الجنوبيين الموجودين بالشمال عام ١٩٥٦م ثلاثة مائة وإحدى عشر ألفاً (٣١١) ألف . (١) وسارعت المؤسسات التبشيرية لاستغلال الظروف التي يعمل في نطاقها هؤلاء البسطاء والاستفادة منها فنظمت لهم الندوات والدروس الليلية وأقامت لهم أندية اجتماعية وفرق تمثيلية وغيرها دون علم

١ . مقابلة ميدانية مع المهندس ابراهيم محمد توم مدير مشروع أبو قمي ومركز تنمية المرأة الريفية بالروصيرص .

الأجهزة الحكومية واختارت أن تكون صلتها بالوافدين الجدد عن طريق بعض أهليهم وذويهم ممن تنصروا وأقنعتهم أن يتحدوا مع الكنيسة كما وفرت لهم الجو الاجتماعي الذي يعين على تماسكهم وتمييزهم في مواجهة المجتمع الجديد، وكثيراً ما يحدث أن يجد القادم الجديد من أبناء الجنوب مندوباً من الكنسية في انتظار القطار ، ليأخذ من يرغب منهم إلى منزل ضيافة الكنيسة ، ومن هنا يبدأ التعرف على الدين ، وبدلاً من أن تؤدي الهجرة إلى الشمال إلى تقوية العلاقات بين الشمال والجنوب صارت تؤدي بسبب نشاط الكنيسة وسط الجنوبيين وأبناء النوبة إلى تعميق الشعور باختلاف والتمييز بل والعداء للمسلمين من الشمال .

قد تنوعت أساليب الإرساليات للوصول إلى قلوب المواطنين من البسطاء والضعفاء ولعل أهم هذه الأساليب ما يلي :

- ١- العمل في المجال الصحي وذلك بإقامة المستوصفات خصوصاً في مناطق الحاجة بالإضافة لشراء احتياجات الدواء وزيارة المرضى (١)
- ٢- إقامة مراسيم الزيجات للوافدين والعمال الموسمين وأبناء المناطق المتخلفة في الكنائس .
- ٣- تسمية الأطفال بأسماء نصرانية .
- ٤- تنظيم الفرق الرياضية والترفيهية على مستوى المسيحيين من الطبقة الراقية كفريق كرة السلة وعلى مستويات السكان المحليين ومناطق الأطراف .
- ٥- الزيارة والطواف على سكان من مناطق الأطراف ، والمناطق العشوائية ، وتوزيع الغداءات كالسكر واللبن للأطفال وتقديم إعانات للمحتاجين والمعوقين .
- ٦- إقامة مهرجانات في أعياد الميلاد وغيرها وإرسال كروت عيد الميلاد لمن يودون استمالاته .

١ . التبشير المسيحي في العاصمة القومية - د. حسن مكي - إصدار بيت المعرفة عام ١٩٩٠م ص ١٠ .

٧- خلق صداقات بين المسيحيين .

٨- دفن الموتى على طريقة الكنيسة في مقابر خاصة بالمسيحيين ، وتوجد عدة مقابر للمسيحيين بالعاصمة . وقد تم التصديق لهم منذ وقت قريب بمقبرة إضافية مساحتها ١٦٠,٠٠٠ متر مربع جنوب المركز الإسلامي الأفريقي .

٩- توزيع الغذاء والبطاطين على المسجونين وتوزيع الحلوى والصلبان عليهم في أيام الأحد والأربعاء والأعياد حتى يتم خلق الإحساس عندهم بأن الكنيسة هي التي تعمل من أجلهم وأنهم ينتمون إليها .

١٠- تخصيص أماكن في الكنائس لاستقبال الغرباء الوافدين حيث يستقر بهم المقام الأمر الذي يترك أثراً عميقاً في نفس الغرب الوافد .

١١- الاهتمام باللاجئين عن طريق وكالات الإغاثة المتخصصة والتي تستفيد من الإعفاءات الجمركية في تقديم الخدمات بتكاليف زهيدة ، وكثيراً ما تقدم الإعانات الدولية لللاجئين بواسطة هيئات تبشيرية .

١٢- تنظيم حلقات محو الأمية والإرشاد الديني في المواقع كالمنزلة والنادي والديوان الخ .

١٣- العناية بالأطفال ، خاصة اللقطاء أو تبني القساوسة وتعليمهم مما يؤدي إلى سيطرة الكنيسة على مستقبلهم منذ وقت مبكر .

١٤- إقامة جمعيات تعاونية وطواحين وآبار مياه وغيرها ، ومشاريع اجتماعية وتربوية .

١٥- المشاركة في توجيه نشاطات الجاليات المسيحية وتسخيرها للتبشير بخلق جمعيات لهذا الغرض واستفادة أبناء الجنوب من الإجازات الإضافية غير يوم الأحد بل أن بعض العاملين بالحكومة يعتمد اعتناق المسيحية من أجل الإجازة ويعتبر المسيحيون إعلان يوم الأحد كإجازة إنجازاً سياسياً واجتماعياً حققته لهم الكنيسة . (١)

١ . المصدر السابق ص ٣٢ .

ثالثا : تمويل النشاط الاجتماعي

تتخذ الكنيسة المنازل وبيوت العبادة والمدارس لتسيير هذا النشاط في الأحياء بالمدن والقرى ومناطق التنقل الموسمي ومناطق الصناعة ، كمناطق السكر، كما في شركة سكر سنار بالمدينة السكنية ، والكنابي المتحركة مع الحصار ومناطق العمرية وقرية الهدى والحلة الجديدة والاتجاه الجنوبي لـ ٥٦ كجهاث يتركز فيها أبناء الجنوبيين مما يسهل ملاحقتهم في كل مناطق العمل وتقديم المساعدات والدراسات الدينية عبر قساوسة متخصصين من المدن التقريبية ومن مركزية العمل الكنسي بصورة مباشرة . والخالصة في النشاط الخطي المتكرر في كل مناطق الإنتاج والعمل سواء في اتجاه الزراعة المروية أو المطرية ، ودائما ترصد له إمكانيات ضخمة ترتبط بالكنيسة وتقبل النصرانية في النهاية وأمل الكنيسة أن يكون هؤلاء جسرا لعبور الجيل الجديد للمسيحية كما تستغلهم كأدوات للضغط السياسي وهي بعملها هذا تحول بينهم وبين التفاعل مع قطاعات المجتمع السوداني والانصهار في بوتقة القومية السودانية الجامعة خاصة . والكنيسة تهتم برعاية مصالحها ونفوذها قبل مصالح أتباعها أو مصالح البلاد بصورة عامة .

عمدت الكنيسة في السنوات الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم في مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية في الجامعات وعلى البواخر التي تقوم برحلات نيلية مجانية ترفيهية . وإقامة مكاتب في ولايات السودان المختلفة . (١)

كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المتخلفة وطباعة كتب في المدن الكبرى ، وتوزيع هذه الكتب غالبا بالمجان أو بأسعار رمزية على الأسر

١ .مقابلة مع المفتش الزراعي محمد عمر عبد المجيد مهتم بعمل الدعوة بمنطقة ٦٤ - كمبو الخرطوم ، وكنابي الحصاد - مصنع سكر سنار بتاريخ ١٥ / ٨ / ٢٠٠٠م.

والأطفال في مناطق الأطراف والأحياء الشعبية ، وهي نماذج من الكتب فمنها أدب الأطفال القصص وقصص الأنبياء ، كما وردت في أناجيلهم بالإضافة للكتب الفكرية التي تحارب الإسلام في عقائده وتسب النبي وتشكك في الدين الإسلامي وتثير الشبهات حول موقفه من الأعداء والرق وقد وجدت منها مئات الآلاف من الكتب . والغريب في الأمر أن تلك الدور التي أغلقتها سلطات الأمن وهي دور الشعبية المسيحية كانت تعمل لسنوات دون تصديق من أي جهة في الدولة وظل يديرها عدد من الشباب الألمان .

إن الجو الاجتماعي الذي توفره الكنائس ، حيث تفتح لهم مجال اللقاء والتعاون وتبادل أخبار الأهل مما يشعرهم بنوع من الاتحاد في وجه الضياع الذي تمثله المدينة الكبيرة في حدود الأسرة والوراثة . ثم الشعور العميق الذي تقوم به الكنيسة بأن الشماليين يعاملونهم بقدر من الاحتقار وأن الإسلام دين العرب وأن المسلمين يعاملونهم كمصدر للعمالة ، وفي مهن وضيعة وبأجور زهيدة ومتدنية ، إلا أن المرء يلاحظ أن معرفة المتصرين الجدد بالمسيحية محدودة للغاية ، ومع ذلك فإن الارتباط بالكنيسة بالنسبة لهؤلاء يشكل عنصراً هاماً في حياتهم نسبة لما يجدونه فيها من رعاية . مأوى » وتعليم بينما الذي يدخل الإسلام لا يجد هذه الرعاية .»

تراعي الكنيسة في مطبوعاتها الجودة والإخراج والإيجاز وبساطة الأفكار وصغر الحجم مع تكثيف الصور والألوان وعموماً تكون مادتها حول فكرة محورية واحدة وهي أن لا خلاص إلا بالمسيح ولا نجاة إلا بالمسيحية . كما تراعي في كتب الأطفال ألا تزيد عن أربع صفحات فقط كيسوع « يبارك الأطفال » و « يسوع يسكن العاصفة » . وهناك كتب تعالج القضايا التي يرد ذكرها وتعالج كيفية الحوار مع المسلمين وكتب تعالج القضايا التي يرد ذكرها في القرآن الكريم كتحرير الكتب السابقة والنسخ وشخصية المسيح في الإنجيل والقرآن الكريم وفيها اشتهادات ببعض الأقوال الشاذة مثل كتاب « ميزان الحق » الذي

يظهر نفسه وكأنه يعرف كثير مما كتب عن الإسلام ويلوي الحقائق بطريقة خاصة . ❖

وهناك سلسلة الكتب التي تعني بالقديسين والأباء والإخوان وتصورهم كقوة صالحة للمجتمع البشري بهدف كسب أفئدة المسلمين واستتفار المسيحيين في دروب التنصر حتى يكونوا دعاة للمسيحية ويخلصوا لها كما أخلص لها هؤلاء .

السودان وطن ذو أبعاد وهو أحد البلدان القليلة التي أصبحت لها شخصيتها بالرغم من عوائق كثيرة ووجود قبائل تحت ظل الأمية والتخلف في جبال النوبة وجنوب النيل الأزرق خاصة ، وأن هذه القبائل والمناطق تسودها العشائرية وعلى علاقة وطيدة بالكنسية ، وقربها من مناطق محدودة خاصة مناطق جنوب النيل الأزرق التي تحاذي الحدود الأثيوبية مما يسهم في طريقة تسلل المسيحية وبصورة منتظمة . وفي مناقشات تمت مع عينات عشوائية من الشباب الذين تنصروا وجدت أن أسباب تنصيرهم المساعدات المادية التي تقدمها الكنيسة خصوصاً حينما يكون القادم نازحاً من منطقة ما . والعناية بهم في المدارس التبشيرية وفصول محو الأمية والمصححات والكنائس المشروعة والعشوائية .

رابعاً : التعليم

تضمنت سياسة التعليم الثنائي في السودان إعداد كوادر تحمل أفكاره بعد رحيله وكان لا بد لهذا الكادر أن يكون مثقفاً ثقافة خاصة ولا يكون الكادر محل ثقة إلا إذا كان مثقفاً ثقافة عالية ومعداً إعداداً خاصاً . من هذا المنطلق كانت فكرة إنشاء كلية غردون باسم الجنرال غردون (١) الذي كان يحكم السودان باسم الخديوي والذي قتل بالخرطوم في صبيحة السادس والعشرين من يناير ١٨٨٥م

❖ تلاحظ جودة الطباعة والاخراج الاعلامي في اصدارات ومطبوعات الكنيسة من المطبقات التي توزع على

الشباب والأطفال ، وقد وجدنا منها كميات بالكنيسة الكاثوليكية بقرية الهدى بسكر سنار .

١ . الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان - د. عبد الحي عبد الله - رسالة دكتوراة - ١٤١٢ هـ -

١٩٩٢م .

كأحد بناء الإمبراطورية ، وفي الحقيقة أنشئت الكلية لتخريج الكوادر وتعميق سياسة التغريب المطلوبة . ظهر ذلك واضحاً في تقرير لجنة (دى لاور) التي كونت من قبل حكومة السودان آنذاك حيث شرعت في تقديم توصيات من شأنها أن تترك أثراً واضحاً في حياة أبناء الشمال . وكان عليها كذلك أن توائم بين الحضارة الأوربية والمجتمع السوداني والتحقق من أن ثمة رابطة وثيقة بين المدارس والكلية وبين المجتمع الريفي البدائي والقادة المدربين .

ولإنشاء هذه المؤسسة التعليمية العليا التمس اللورد كيتشنر حاكم عام السودان آنذاك مساهمة الشعب الإنجليزي لتأسيس الكلية في الثلاثين من نوفمبر عام ١٨٩٨م الموافق ١٢١٦هـ وبين الهدف من فتح الكلية عبر الصحافة الإنجليزية وتوالت التبرعات من شتى بقاع الأرض من بريطانيا وكندا وأستراليا ونيوزلندا ورأس الرجاء الصالح وجمعيات المسارح ورؤساء أفريقيا والهند ومصر وأمريكا ومن الأفراد والشركات والكنائس وجمعيات المسارح ورؤساء المجالس ولندن وليفر بول و «مانشستر» و«أدنبرة» و«نيو كاسل» و «روتشلد وأولاده و«أستون» و «ورنر» وغيرهم . (١)

وقد فاضت هذه التبرعات عن حاجة كلية غردون فأنشئت بهذا الفائض بعض المدارس في السودان . ويتضح بجلاء أن نداء كتشنر لأوربا ، والاستجابة السخية السريعة لهذا النداء ، أن التعليم الحديث الذي سوف يقوم ليس من أهدافه نشر المعرفة بين أبناء الشعب السوداني تمهيداً للإرتقاء بحياته العامة ولكنه تعليم يهدف إلى تثبيت دعائم المستعمر الأوربي وتحقيق أهدافه من احتلال السودان .

وقد قام اللورد كرومر معتمد بريطانيا في مصر وحاكمها الفعلي بوضع حجر

١ . المرجع السابق .

أساس الكلية في الخرطوم باسم الملكة فكتوريا في يناير عام ١٩٠٠ وافتتح مبانيها اللورد كتشنر رسمياً عام ١٢٢٠هـ - ١٩٠٢ م وأطلق عليها اسم كلية غردون التذكارية وتمنى أن يتركز عليها التعليم النظامي في السودان الذي من شأنه أن يلبي حاجات السودانيين . على حد زعمهم ، تحت إشراف البريطانيين لإيجاد طبقة من السودانيين ترتبط فكرياً ببريطانيا وكان يرى أن إنشاء هذه الكلية سيعطي بريطانيا المركز الأول في أفريقيا كقوة حضارية . وتحقيقاً لهذه الشعارات المعلنة منها والخفية ، اتخذت الإدارة البريطانية عدة وسائل لتحقيقها تمثلت في :

١- إعداد معلمين بريطانيين إعداداً خاصاً لهذه المهمة وتهيئة المجال لتدريبهم على القيادة وإرسالهم إلى السودان
٢- ربط التعليم بالوظيفة .

٣- محاصرة ومحاربة الدين الإسلامي عن طريق الكلية .

٤- دس المفاهيم الدراسية المغلوطة ذات الأهداف التي تتفق مع السياسة التي يريدونها . (١)

أما فيما يختص بإعداد المعلمين في هذه الكلية فقد درجت الحكومة البريطانية على اختيار البريطانيين من السلك الدبلوماسي يقضون عدة أعوام يتمرنون خلالها على الحكم ، لاعلى التعليم بين طلبة العلم وصفوة أبناء البلاد ، والحقيقة أنهم يقضون أعواماً في الكلية تحت التجربة فمن أفلح منهم وأجاد وسائل العنف والاستبداد والضغط ، رُقيّ سريعاً إلى وظيفته في السلك الإداري ، إذ أنه قد اجتاز الامتحان وأمضى مدة التجربة على أحسن ما يرام . وقد وصف المستر إدور عطية أحد الأساتذة بالكلية في كتابه الذي أسماه

١ . انظر المداخلة في المرجع السابق الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان أهدافه ووسائله وآثاره في العقيدة والأخلاق - المجلد الأول ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - مكة المكرمة .

(عربي يروي قصة حياته) الإعداد الخاص بقوله « كان الأساتذة البريطانيون أعضاء في السلك الدبلوماسي وشخصيتهم مزدوجة . فهم معلمون من ناحية وحكام من ناحية أخرى ، وكانت الصفة الأخيرة غالبية عليهم ، وكان هؤلاء التلاميذ يدركون أنه خلف كل مدرس من هؤلاء المعلمين صولة الحكومة وجبروتها وقوتها ، ويساعدها مدير المعارف والسكرتير الإداري والحاكم العام ، والمعلم الإنجليزي ليس وحده بل كان المعلم الإنجليزي في الكلية ينقل منها إلى المركز مفتشاً ، وينقل المفتش مدرساً إليها ، بجانب ذلك نجد أن بعض الأساتذة لهم سابق خبرة في بعض المستعمرات البريطانية الأخرى كالمسترلين والمستر ترنق معاً في كلية غردون قسم المعلمين ، أما ربط التعليم بالوظيفة السياسية فقد كان عاماً مبنياً على تخطيط اللورد كرومر الذي عمل على استيعاب وتوظيف كل خريج كلية غردون لأنه يرى أن الخريج الذي لم يوظف في دواوين الحكومة سيصبح خطراً على حكومة من جهة ، ومن جهة أخرى يسهل على الحكومة الإشراف عليه ومتابعته وربطه بالنظم السياسية للدولة ذلك يجعل من كلية غردون المنفذ . والمؤسس الوحيد للتعليم في السودان ، ومعهداً لتدريب كوادر الموظفين الذين تحتاجهم الإدارة البريطانية . ونتيجة لذلك فقد طرح لطلبة الكلية فيما بعد موضوع العلم أن يكون مقصوداً لإحساس الطلاب ووعيهم بما يدور حولهم .

خامساً : محاربة القرآن الكريم ومؤسساته التعليمية :

لقد وجه إلى التعليم الديني في هذه الفترة إهتمام خاص فقد أراد سردار وحاكم السودان الجديد السير ونجت أن يصنع له سياسة جديدة هدفها تقليص دور العلماء ووضعهم في دائرة الضوء بحيث تكون كل تحركاتهم وما يلقون من دروس تحت سمع وبصر الحكومة ففي عام ١٩٠١م أي بعد سنتين من اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر عين الحاكم العام البريطاني لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم مهمة استشارية له كما في خطابه أدناه .

أنه نظراً لما أحرزتموه من ثقتنا بكم ، ووثوقنا لعالميتكم وفضلكم قد ارتحنا إلى انتخابكم لتكونوا أعضاء اللجنة الرئيسية لجماعة العلماء . في جامع أمدرمان (١) الذي يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف في الجامع المذكور وللنظر في تقرير من يصلح للتدريس في هذا الجامع وفي شئون الطلبة فيه ، وتكون أيضاً موضع استشارتنا ورؤساء الحكومة السودانية فقط في الشئون الدينية وما يختص بالعلم والعلماء ، دون أن تكون مكلفة بابتكار أي موضوع من تلقاء نفسها حتى يعرض عليها ، وأن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاختصاص التي لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة وعلى اللجنة ألاّ تحمل إحاطة الحكومة والاطلاع عليها دينية كانت أم علمية على السواء وبالكمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن تقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم أحسن قيام يكون من نتائجها ترقية شأن العلم وطالبية وصيانة الشعائر الدينية فإن هذا هو الغرض الذي ترمي إليه الحكومة الساعية لما فيه سعادة البلاد وأهلها . (٢)

وبلاحظ أن هذا الخطاب قد اشتمل على ضوابط ومحاذير للحد من نشاط العلماء الذين أصبحوا موظفين لدى الحكومة غير مكلفين بالنظر في أي مسألة من تلقاء أنفسهم بل يكونون رهن الإشارة متى ما طلب منهم أمر ، عليهم إحاطة الحكومة علماً بما يدور فيهم وفي أوساط طلابهم .

ورغم أن الحاكم أراد بذلك تقييد نشاط العلماء بتكوينه لهذه اللجنة التي كونت برئاسة الشيخ أحمد البدوي . (٣) إلا أنه قدر لها أن تكون لها بادرة مع جميع

١ . مكان تعليم القرآن الكريم من مناهج التعليم الحديث د. عبد الله الطيب - مجلة التوثيق التربوي ص ٦ نقلاً عن محمد سليمان . دور الأزهر في السودان ص ١٢٣ - ١٢٤ والخطاب من الخرطوم بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٠١ الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ .

٢ . أعضاء اللجنة التي تكونت برئاسة محمد البدوي هم النذير خالد ، عيسى دويلب - إبراهيم شريف - محمد عبد الحميد ود الجريف - محمد الأمين الضريير - اسماعيل الدول - محمد أحمد أنور - أحمد المجذوب - الجعلي التلب .

٣ . انظر / محمد سليمان دور الأزهر في السودان مرجع سابق ص ١٢٦ - ١٢٣ .

المسلمين وإقامة مؤسسات علمية عنيت في المقام الأول بالشرعية الإسلامية ،
واللغة العربية. لقد كان من أهداف السياسة التعليمية الجديدة في السودان
آنذاك ، إبعاد المسلمين عن الاهتمام بالقرآن الكريم بالطعن في طريقة
استظهاره وحفظه حتى ينقلب من القلوب فيضيع ويحرف ويبدل شأنه شأن
الكتب الأخرى وفاتهم أن الله تعالى قد تكفل بحفظه فقال جل من قائل : « إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١)

وقد تركز الهجوم أكثر ما تركز على الحفظ والأساليب التي يمكن بمقتضاها
إقصاء القرآن الكريم عن القلوب ، ومن ذلك محاولة مصلحة المعارف بما لديها
من سلطة من إلغاء نظام الحفظ باستخدام المنشورات والكتب الدورية إلى
المدرسين . (٢) وقدم المستر جى بي سكوت المفتش الأول للتعليم وأحد قادة
الإصلاح لمصلحة المعارف في مايو ١٩٣٢م ورقة منها أن الخطأ الرئيسي في
التعليم يكمن في انتشار النظام الذي يلزم الطلبة بالحفظ والترديد الببغاوي
للعبادات دون إدراك معانيها . ذلك النظام الذي ورثته المدارس الوسطى وكلية
غردون عن الخلاوي . وبعد ستة شهور من مذكرة سكوت لمدير مصلحة المعارف
كونت لجنة نظام الخلاوي باعتبارها قليلة النفع ، أكدت اللجنة دور المدارس
الأولية باعتبارها وسائل حديثة للتربية والتعليم ، وحدد دورها في تلقين العلم
الملائم لكل من أبناء القرى والمدن .

ولما فشلت تلك المساعي في إحراز النتائج المرجوة ، ودعت حكومة السودان لجنة
«دي لاوار» بناء على اقتراح من السير جيمس كيري لزيارة السودان عام ١٩٣٧م (٣)
وكان مما ورد في تقريرها أن الجذور العقلية للطلاب التي اتصلت بالتقاليد في

١ . الحجر : آية (٩).

٢ . انظر خطاب اللورد كرومر الي سير غورث في ١٢ / ١١ / ١٩٠٨م . عن د. محمد عمر بشير التعليم
في السودان - ص ١٨٧ - ١٨٨ .

٣ . سكرتارية التعليم والصحة سياسة التعليم في شمال السودان - تقرير اللجنة التي عينها الحاكم في
١٩٣٣م / ٢ / ٧.

التحصيل والثقافة وحفظ القرآن ، تتطلب حفظ الدروس عن ظهر قلب ، الأمر الذي جعل التعليم والثقافة الغربيتين يبدوان نتاج دولة أجنبية ومما جاء في تقريرها أيضا أنها أوصت بأن سن القبول بالدراسة الأولية (١) ما بين الخامسة والسادسة وذلك لتخليص الأطفال من عادة الحفظ التي تكتسب عند قضاء سنتين أو ثلاث بالخلوة قبل الالتحاق بالمدرسة الأولية . وقد كان لهذا الهجوم الشرس أثره العميق في المجتمع إذا أدى كما يقول الدكتور عبد الله الطيب الذي فند مزاعم الاستعمار في هذا الجانب إلى تطرف من الفرع منه ماتجنبه المدرسون تجنباً في باب اللغة العربية والقرآن ولكنهم استمروا بأسلوب الحفظ فيما عدا ذلك من العلوم . بما فيهن اللغات الأجنبية ولكن فقد طريقة الحفظ التي كان معمولاً بها عندنا المراد بها المادة لا الطريقة . (٢)

ويرجع إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد الله الطيب من أن المراد بالهجوم على الحفظ المادة وليس الطريقة ، مستخلصات تقارير المبشرين الذين وظفهم الاستعمار للتنفيذ والاستخفاف بمقومات أمة الإسلام الجدل والمناقشة في قاعات الدرس أو بوسائل البلاغة والنشر في الميدان الفكري وبوسائل العون والدعم والإنشاءات في مجالات أخرى . (٣)

فمن مستخلصاتهم عن صورة المناهج التي تدرس في المعاهد كما يذكر الأستاذ أنور الجندي يتبين لنا من صريح رأيهم أن المسلمين قوم لهم كتاب يثقون به ثقة لا جدل فيها وقد حملت تعاليمه لهم عوامل الوحدة والقوة وهو يدفعهم إلى مقاومة الغاصب والمعتدي والدخيل ، ويشن أعنف مقاومة هي الجهاد ، وقرآنهم

-
- ١ . د. محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٢٠ . (لقد اشترطت وزارة التربية والتعليم من حكومة الانتفاذ الحالية إلحاق الأطفال بمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم قبل إخالهم المدارس الابتدائية .
 - ٢ . د. صابر طعيمة وأخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي عالم الكتب الطبعة الاولى - ص ٧٣ .
 - ٣ . أنور الجندي - الاسلام ووجهة التقريب - دار النصر للطباعة الإسلامية الناشر دار الاعتصام - القاهرة - ص ١٢١ - ١٢٢ .

يرسم لهم منهج حياة كامل من القانون والسياسة والاقتصاد ، والاجتماع ، ويقوم على نظام شامل على التوحيد والأخلاق والوحدة والمساواة والعدل الاجتماعي والشورى ، وهم إذا ما اتبعوا هذا المنهج فمن المحتم أن تكتب لهم السيادة ولا بد ان يزيلوا نفوذ الغرب عن بلادهم ، لذلك فإن أصلح طريقة للحيلولة دون تنفيذ مخطط الإسلام الاجتماعي والسياسي ، أن يكونوا قادرين على تربية جيل يكره هذه المفاهيم ويحتقرها ويسخر منها . ويظهر لنا مخططهم بوضوح إذا علمنا أن الافرنج - كما يذكر الدكتور عبد الله يحفظون صفارهم روائع أدبهم حفظا ثم يأخذونهم من بعد ذلك بقراءة أصناف التعليقات ويناقدونهم المناقشة التي تفتق أذهانهم ، وتمكن كلا منهم بحسب قوة إدراكه من النظر وإنشاء الأداء. (١) فهم قد علموا ما للحفظ والاستذكار من أهمية في تثبيت العلم في القلوب فأرادوا اجتياز القرآن الكريم من القلوب بالطعن في الطريقة التي يدرس بها ووصفها بالرجعية مما جعل البعض أن يعتذر ويتبرأ من تلك الطريقة بما نادى به الاستعمار .

وقد جر إهمال حفظ القرآن كما يقول الدكتور عبد الله الطيب إلى كثير من تناسي أهميته ثم الهبوط شيئا فشيئا في مستويات العربية من تحسين الألفاظ وتجويد الخط والإملاء وتقويم الألسن في المخارج والأساليب والبيان وقد كثر الآن عدد الجاهلين بقصار الفصل من خريجي الجامعات كما كثر عدد غير القادرين على التلاوة من المصحف المطبوع يليه المخطوط من أجل الجهل بالرسم . ومما يؤكد ذلك أن «كرومر» كان يرى في تطور التعليم الأول (الخلوة) التي كانت تقوم على دراسة القرآن الكريم ، بعض المخاطر إذ يثير هذا النمط في نظره الحماس الديني والتعصب لذلك فقد كان من رأيه كما سبق وقدمننا أن تخلص

١ . عبد الله الطيب - مكان القرآن من مناهج التعليم الحديث - مجلة التوثيق التربوي (٢) النسر التربوي الخرطوم ص ٢٣ ٢٤ .

دراسة القرآن بتدريس مواد علمانية، وكانت نظرة كرومر للتعليم الديني هو أن يقتصر على المعلومات الأولية في الدين الإسلامي .

وأن ليس ثمة لزوم لأي زيادة على ذلك قد تشكل خطورة لا مبرر لها ، ولذلك حول جيمس كيري وزير المعارف الخلاوي إلى مدارس كتاتيب وأدخل مناهجها تدريس ومبادئ العلوم الإنسانية وذلك للحد من تحفيظ القرآن الكريم وتحويل الخلاوي عن أهدافها التي أنشئت من أجلها . (١)

أدرك العلماء هذا الهدف فاحتفظوا لخلاويهم بوضعها الأصلي خوفاً من هيمنة الإدارة الإنجليزية ، إلا من بعض المواد كالحساب والمواد الأساسية التي لا يستغني عنها الإنسان ، ولكن نجد آخرين قد انساقوا وراء هذا النظام الجديد تحت ضغط الحاجة والأعراف المادية ، يقول الهادي أبو بكر ، واصفاً ذلك بقوله « حوربت خلاوي القرآن ورا حوا يغرون مشايخها بمرتبات ثابتة في مقابل أن يسمحوا بإدخال القواعد والنحو والحساب ومبادئ العلوم الإسلامية وذلك بقدر لا يغني فتيلاً ثم تطويرها بعد أن أذعنت لسلطات الحكومة وأصبح شيوخها تطبق عليهم شروط المستخدمين وأصبحت تعرف باسم المدارس الصغرى وبذلك اختفت مراكز تحفيظ القرآن وقد نتج عن هذا الوضع الجديد لخلاوي القرآن الكريم ما عرف في نظام التعليم العام في السودان باسم « ازدواجية التعليم » وهي أن تطوير الخلاوي بالطريقة التي تمت بها جعلها في وضع جديد تماماً ، فلا هي ظلت خلاوي للقرآن الكريم بالمفهوم الذي عرفت به الخلوة في السودان ، ولا هي أصبحت مدارس أولية مكتملة من حيث مدة الدراسة والمحتوى ، والمدارس والمناهج الدراسية وكان هذا النظام الجديد يبين لنا البعد الذي قصده الإدارة البريطانية من هذا الاتجاه في سياسة التعليم وقد خلفت

١ . المرجع السابق - وانظر تطور التعليم في السودان - د. محمد عمر بشير ص ٦٤ - ٦٥ .

هذه الازدواجية كما يقول الأستاذ أحمد سعد مسعود مشاكل كثيرة لنظام التعليم العام في السودان امتد إلى ما بعد استقلال البلاد لفترة طويلة إلى جانب أن مستوى الدراسة في المدارس الصغرى أقل منه في المدارس الأولية ونتج عن ذلك حرمان طلاب تلك المدارس من مواصلة تعليمهم في المدارس الوسطى وبالتالي المدارس الثانوية ولعل من الأوجب أن نشير في ختام هذا المبحث إلى أن المنهج ذو الطابع الحديث الذي يُؤهل الطالب فيه علي الحصول علي مستوى جامعي معترف به يمكنه من بعده تحصيل فوا ئد مماثلة لما يحصل عليه خريجوا الجامعات ومثل هذا الدأب كما يقول الدكتور عبد الله الطيب .

« صائر لا محالة بطالب القرآن إلى طلب منهج حديث يباعده من (وجوب) حفظه ثم يبتعد عنه شيئاً فشيئاً حتى تقوم المشكلة كما بدأت .

ولعمري إن هذا الخطر المستكن أبدأً في ألوان الازدواجية التعليمية التي تواجهها البلاد العربية في عصرنا الحاضر . وللحقيقة كما يقول الدكتور الطيب زين العابدين فإن مادة العلوم الاسلامية وطريقة تدريسها في هذا الوقت ما كانت لتعين الطالب على توسيع أفقه ، وتزويده بما يحتاج إليه في الحياة العامة تعينه على صقل مواهبه وتنمية مداركه الفكرية والاجتماعية . وهكذا اجتمع كسب دارس العلوم الدينية ، زائداً سياسة الاستعمار التي قصدت إضعاف الثقافة الإسلامية وإبعاد أهلها عن فاعلية التأثير في الحياة العامة فأدى لأن يتعدّد خريجو المدارس المدنية مجالات الحياة المختلفة.

وقد وضع الدكتور عبد الله الطيب تصور ما ينبغي التعويل عليه ، ومخرجاً من هذه الازدواجية القائمة ذات الخطر المستكين موضحاً أن التوفر في الحفظ ليس بقاتل للمكة النقد والتحليل كما يتصور المرجفون حيث قال « أن المخرج عسى أن يكون في المحاولة منا بجد أن نجعل القرآن والعربية هي ما استفدناه من تجارب التعليم الحديث ومناهجه ، ونقد أصناف النقاد لما كان في مناهجنا القديمة ، وما كان يقع علينا من أخطاء وعلينا ألاّ نفزع من تهمة التعديل على

الحفظ في التعليم على أي حال ، ولذلك قيل في المثل « العلم في الصفر كالنقش في الحجر » (١) دائماً يعاب الحفظ بلا فهم والخلو من مكان التحليل والنقد وليس التوقف على الحفظ بقاتل للمكة النقد والتحليل وإنما يقتلها إهمالها أو قمعها وكراهة التصرف من التلاميذ وحملهم في إجابة ما يسألون عنه بتكرار ، ما قيل لهم في كتابة الدرس من كتاب معين نقلاً لفظياً ليس إلا .
هذه بعض الوسائل والمحاولات التي مورست من قبل المستعمر في محاربة القرآن الكريم ومؤسساته سقناها من باب المقال لا الحصر بحسب تسلسلها التاريخي ليدرك القارئ مراوغته بين الحين والآخر مستعيناً بخبراء دوليين في شؤون التعليم لهدم عقيدة الأمة الإسلامية بشيء من الوسائل وقد كان الهجوم عنيفاً ولكن خاب الفأل . (٢)

يذكر الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية أن الكنيسة الأسبانية غضبت لانتشار فلسفة ابن رشد وأفكاره وخصوصاً بين اليهود فصبت جام غضبها على اليهود والمسلمين معاً . فتمكنت من طرد كل يهودي لا يقبل المعمودية وأباحته له بيع العقار والمنقول وما يشاء بشرط أن لا يأخذ معه ذهباً ولا فضة وإنما يأخذ الأثمان عروضاً وجوالات وهكذا خرج اليهود تاركين أموالهم بأن ينجوا بأرواحهم وحكمت الكنيسة بذلك سنة ١٠٥٢م على المسلمين « أعداء الله » بطردهم من أشبيلية وما حولها إذا لم يقبلوا المعمودية بشرط ألا يذهبوا في طريق يؤدي إلى بلاد إسلامية ومن خالف ذلك فجزأؤه القتل .

والذين قرءوا تاريخ المسيحية يعرفون ماذا جرى للعالم المصري «أيديوس» وأتباعه الذين عارضوا القول بألوهية المسيح بمجمع نيقية المشهور لعام ٣٢٥م وكيف صار هذا المجمع بعد أن طرد من أعضائه كل المعارضين . أدين «أيديوس»

١ . هذا المثل ذكره د. عبد الله الطيب وقال انه مثلاً مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد ضعيفة كما روي من قول الحسن البصري - أخرج هذا البيهقي في المدخل والطبراني في الكبير - انظر السخاوي - المقاصد الحسنة - دار الكتب - مكة المكرمة - ص ٢٩٢ .

٢ . د. عبد الله الطيب - مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث - ص ٣٢ - ٣٣ .

ومنع كتبه وحُرم على المعارضين اقتنائها وعزل أنصاره من كل الوظائف ونفيهم والحكم بالإعدام على كل من أخفى شيئاً من كتابات «أيديوس» وأيد مذهبهُ . (١)

واستمر الاضطهاد للداعين للتوحيد حتى اختفوا تماماً من المجتمعات المسيحية ولم يبق لدعوتهم أثر .

وهناك قضية التعريب والدعوة العلمانية كما أورد جريشة أنهم احتاجوا إلى العلمانية لظروف خاصة لهم ونحن لا حاجة لنا إلى العلمانية لأنها كانت حلاً لمشكلاتهم مع كنيستهم وهى عندنا تكون مشكلاً في ذاتها . (٢)

وحقاً يريدون تشويه النهج الإسلامي وصلاحيته مقابل أن المسيحية شوهت نفسها لذا تستهدف المجتمعات المثقفة وأنصاف المتعلمين بهذه الأفكار .

١ . الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٣٦ - ٣٧ .

٢ . أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي : علي محمد جريشة وحمد شريف الزبيق ص ٣٥ - دار الإعتصام ط٢/ : ١٣٩٩ - ١٩٧٩م .

وانظر د. الطيب زين العابدين - التيار العلماني - دائرة السودان ص ٦ .

المبحث الثالث :

دراسة آثار اللهجات المحلية :

أما أثر دراسة اللهجات المحلية فالخطر فيها أنه أريد بها جذب الشعوب الإسلامية إلى إقليمية ضيقة وبتر علاقتها التضامنية مع بقية المسلمين وليس بعيداً ما نراه من ظهور الدعوة الفرعونية بمصر بدلاً من الانضواء تحت لواء الإسلام والعروبة وكذلك الفينيقية والآشورية إلى آخره .

أما موضوع اللهجات المحلية فالخطر أنها كانت الكارثة المباشرة التي كان هدوؤها الظاهر في عملية الغزو هو الدعوة إلى العامية بدلاً من الفصحى اللغة المشتركة بين المسلمين للقضاء على لغة القرآن وفصل المسلم عن تراثه .

أما عنايتهم بكتب التصوف وتاريخ المتصوفة والعقل الإسلامي من الواقع اليقظ إلى شطحات وتعاملات لا تمت إلى قيادة حركة الحياة من ناحية ثانية فالمعروف في التصوف أن كل شيخ له طريقة ، ومعنى هذا أن تتحدّر دائماً للتجزئة والاختلاف . بدلاً من التلاقي على دروس التوحيد والتضامن المستمد مباشرة من صفاء العقيدة . (١)

فإذا جاوزنا كل ذلك واجهنا الموقف العدائي من التصير والمستشرقين للإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ولهم في هذا سوءات وسوءات . والجهود الأولى للمبشرين تنصب على قطع الطريق على الإسلام في المناطق التي كانت بدائية ، ولا تزال غالبية عليها البدائية كما هو الحال في بعض مناطق أفريقيا .

والعمل في مجال التصير يحتاج إلى نوعيات بعينها من الرجال وهم من زمن بعيد قد أحسنوا إعدادهم لهذه الغاية .

١ دراسة ميدانية مع الأستاذ / مصطفى محمد علي سعيد - مدير معهد التأهيل التربوي - سنار ونائب والي ولاية النيل الأزرق ووزير الزراعة بالمازين - عن اللهجات المحلية ١٩٩٩م.

وفوق هذا فإن الجهود تتبناها جمعيات أو بعض أجهزة المخابرات وتتهض بها دول الغرب قاطبة ولهم في الفاتيكان دولة ذات إمكانيات ونفوذ غير محدد لهذا كله فإن التنصير خطره أكبر من النشاط الاستشراقي في مجال الغزو ، لكنه وكلما ازداد الوعي وانتشر التعليم والثقافة بات جهد المستشرقين غير ذي جدوى إلا في حالتين :

الحالة الأولى :

وهي الحالة التي يسقط فيها الضحية سواء أكان فرداً أم حكومة نتيجة للحاجة المادية الملحة . عندئذ يكون الفقر طريقاً إلى الكفر كما يقولون .

الحالة الثانية :

عندما يتمكن المتنصرون من فتح المدارس للإرساليات ، وتصرح لهم الدول الإسلامية أو غير الإسلامية بذلك . عندئذ لا بد أن تقع الكارثة لأننا بأيدينا نقدم أنفسنا إلى الطوفان الذي يجتاح البلاد .

تبدو هناك ملاحظة هامة هي دور التبشير في الخطة . الحق أن الاستشراق والتبشير يمثلان أهم الركائز أو تبصير الطلائع المبكرة والمؤثرة في حركة الغزو الفكري في العصر الحديث وهذه الملاحظات تتمثل حول دور الاستشراق ومعلوم من جهود المستشرقين كانت موجهة لصالح المؤسسات والهيئات ومكافأتهم آخر الأمر على ما يبذلون من جهود ، والمتصلون بنشاط التبشير والمستشرقون يعرفون أن أبرز مجالات عملهم كانت تنحصر تقريباً في : (١)

- ١- تحقيق التراث الإسلامي ونشره وفق هواهم في معظم الأحيان .
- ٢- دراسة اللهجات المحلية للشعوب والقبائل يساعدهم في نشر باطلهم .
- ٣- دراسة العوامل الاجتماعية والنفسية والإقتصادية المؤثرة في سيرة كل شعب .

١ . ورقة قدمت لمؤتمر جلسة المشايخ بالمازين ١٩٨٩م تحت رعاية والى الولاية الوسطى - العمد م . عبد الوهاب عبد الرؤف شتا ١٩٨٩م .

٤- دراسة الفرق والنحل والنزعات المختلفة والمتطرفة منها بصفة خاصة .

٥- دراسة الحفريات والآثار .

قد يقال للوهلة الأولى أن تحقيق تراثنا والعناية بدراسة أحوال شعوبنا مفيد في التوجيه السياسي والثقافي والتربوي لها، وأن المستشرقين يشكرون لأنهم اهتموا بتراثنا وأخرجوه من الظلمات إلى النور وأفادونا بإشارات الاهتمام في هذا الجانب بتقديم نماذج لمناهج النشر أفاد كثيرا من المحققين وبالرغم من وجود بعض المنافع في هذا العلم إلا أن ضرره لا يحصى وذلك يتمثل في اهتمامهم بجانب الأب اللغوي وإهمالهم للجانب العلمي في تراث المسلمين وفي هذا تشويه متعمد للروح العلمية التي ما زالت في حاجة إلى التأصيل والتنمية ، والملاحظ كذلك شد انتباه المثقفين / المسلمين وإيهامهم بأن حركة التوثيق والتحقيق أسلوب ابتكره الأوروبيون ، بينما الحقيقة أنهم أهملوا الباحثين من المسلمين للتشكيك في كفاءة العقلية المسلمة والايهام بانها تحتاج الى متابعة المبشرين والباحثين الغربيين .

إن عمل الرواية وخاصة رواية الحديث النبوي الشريف تعتبر أدق المناهج الموضوعية التي تميز بها المسلمون وسبقوا بها غيرهم إن ما يحققونه وينشرونه إلينا من العناية بالحركات الهدامة و النزعات الغريبة وبكل المواقف والآراء المثيرة للجدل والخلاف بين المسلمين ، فهم مثلا حين يبحثون في علوم القرآن لا يستوقفهم شيء أكثر مما يستوقفهم الخلاف بين القرآن وما يتصل به من « حديث الأحرف السبعة » وكأن شيء يثير ذلك الاهتمام . وحيث يدرسون تاريخ العصور الإسلامية يهتمون كثيرا بتاريخ الفتنة الإسلامية التي نشبت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وما نتج عنها من فرق ومذاهب ... ويقفون كثيرا عند الحركات الغامضة التي يختلف حولها الناس فهم يهتمون مثلا بحركة «الزنج» و « القرامطة» والحركات الباطنية والخلويين وحركات المتصوفة ، ودعاة وحدة الوجود وغيرهم وموقفهم من الحلاج وابن عربي وغيرها . (١)

١ . انظر الغزو الفكري أسبابه ووسائله الطبعة الثالثة د. عبد الصبور مرزوق . وانظر مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها وأثرها د. مدثر عبد الرحيم - طبعة أولي ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

الفصل الثالث

المبحث الأول

الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة

المطلب الأول: دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني: الكوادر المخلصة .

المطلب الثالث: انتشار المراكز الدعوية .

المبحث الثاني

معوقات العمل الدعوي .

المبحث الأول

الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة

المطلب الأول : دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية

عرفت في التاريخ باسم سلطنة الفونج أو سلطنة سنار كما عرفت أيضا بالسلطنة الزرقاء. (١) و اختلفت الآراء حول أصل حكام الفونج . فمنهم من قال أنهم من عمان ومنهم من قال أنهم من بلاد برنو في وسط أفريقيا ومنهم من ذكر بأن أصلهم من قبيلة الشلك بجنوب السودان .

لكن المعروف أنهم كانوا قوما يدينون بالإسلام ويتحدثون اللغة العربية ويتمسكون بالعادات والتقاليد والأعراف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وكان يحكم السودان قبل قيام دولة الفونج ثلاث ممالك وهي :

١- « المقررة » في الشمال وعاصمتها دنقلا .

٢- مملكة « علوة » وعاصمتها سوبا وهي على النيل الأزرق .

٣- مملكة « البجة » في شرق السودان ومقر ملكها هجر .

وبالرغم من أن الهجرات الدينية إلى السودان قد بدأت منذ زمن بعيد إلا أنها زادت بشكل ملحوظ بعد زوال دولة المقررة وكانت تعرف بدولة النوبة عقب مصرع الملك المسيحي في عهد الظاهر بيبرس ٩٨٢ - ١٢٧٦ .

أما الدولة المسيحية الأخرى في وسط السودان وهي دولة علوة فإنها لم تلبث أن أخذ العرب يطبقون عليها من كل جانب ثم تحالف الفونج بقيادة زعيمهم «عمارة دنقس» مع عرب القواسمة . بزعامة «عبد الله جماع» ضد دولة علوة وحاصروا عاصمتها سوبا . وخربوها وتم لهم النصر ، حتى صار خراب سوبا مضرب المثل في السودان حتى الآن ونشأت دولة عربية إسلامية جديدة بقيادة »

١ . تطلق في السودان كلمة (أزرق) على كل من كان لون بشرته أسود وتطلق كلمة أحمر على كل من كان لونه أصفر - ومن هنا عرفت السلطنة الزرقاء .

عمارة دنقس « و«عبد الله جماع» الذي أصبح وزيره ويليهِ في الأهمية . (١)
وبذلك تم الاتفاق على أن يكون السلاطين من الفونج والوزراء من العبدالاب
وكان ذلك ٩٢٠ هـ / ١٥٠٤ م.

اتسعت رقعت سلطنة الفونج وأصبحت حدودها تمتد من حدود الحبشة حالياً
شرقاً إلى النيل الأبيض غرباً، ومن الشلال الثالث شمالاً إلى جبال فازو على
جنوباً ، و كان الحد بين مملكة سنار ومشيخة قري التي سيطر عليها العبدالاب
. وهي مدينة أريجى شمال شرق المسلمية التي قيل أنها اقتطنت قبل سنار
بثلاثين عاما وقد اختطها رجل يدعى حجازى . وكانت المناطق التي تمتد إلى
الجنوب من أريجى تابعة لملوك سنار رأساً لا دخل لمشايخ قري فيها ، في حين أن
المناطق التي تمتد شمالاً إلى الشلال الثالث تابعة لإدارة مشيخة قري تحت
سيادة ممالك الفونج ، وقد كانت المملكة مقسمة إلى عدة ممالك ومشيخات
تضم عناصر النوبة والعرب والحضر والبادية . وكان كل ملك أو شيخ يدفع
الجزية لملك سنار . إلا إذا كان يتمتع بنوع من الاستقلال أما البلاد الواقعة بين
الشلال الثالث والشلال الأول فقد كانت بيد الكشاف ، والأتراك وكانت مملكة
الفونج محاولة لخلق إدارة موحدة في البلاد . ولم تكن حكومة بالمعنى الحديث
ولكنها كانت حكومة إقطاعية .

فللسطان الأرض وللزعماء الحكم على قبائلهم . وكانت أهم الصعوبات التي
تواجه السلاطين هي اتساع البلاد وصعوبة المواصلات ، وكان سلاطين الفونج لا
يطلبون من زعماء القبائل الذين يتمتعون بسلطات واسعة على أقاليمهم . غير
الجزية والخضوع الأسمى لهم . لذلك اهتموا به فاتخذوا كل الوسائل لسلامة
المسافرين بأمعتهم - وبضائعهم ولم تكن للسلطنة الزرقاء عملتها المحلية ، بل
كانت تستعمل الريال النمساوي. وقد دخلت السلطنة الفونجية في حرب مع

١ . مكى شبكة : تاريخ شعوب وادي النيل - دار الثقافة - بيروت ط / ١ / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ص ٣٢ .

الحبشة نتيجة خلافات حدودية وتجارية. وخشية سلاطين الفونج من التصير. حيث كانت البعثات الفرنسية « الخرويت » تعبر الأراضي السودانية إلى الحبشة بعد نزولها إلى سواكن فقام السودانيون بقتل رجال البعثة الفرنسية وقضوا عليها في (١١٢١ هـ / نوفمبر ١٧٠٥) ونتيجة لهذا قام الأحباش بتسيير حملة ضد الفونج انتصر فيها الأحباش أول الأمر إلا أن الجيوش السودانية ما لبثت أن هزمت الأحباش هزيمة ساحقة (١١٦ هـ / ١٧٤٤م) ، وقد اتخذ المنصرون الفرنسيون السودان طريقاً لهم إلى الحبشة بدلاً عن النزول في مصوع وتلك محاولة منهم لبداية نشاطهم التصيري في السودان ، فإن لم يجدوا معارضة من جانب سلطنة الفونج استمروا في نشاطهم ، وإلا واصلوا سيرهم نحو الحبشة .

ومن أبرز الظواهر في هذه السلطنة دخول التعليم عن طريق الفقهاء الذين قدموا من الحجاز ومصر والأندلس وغيرها ، وهؤلاء الفقهاء هم الذين ساعدوا كثيراً على نشر الديانة الإسلامية . وكان سلاطين الفونج يجعلون للفقهاء مكانة خاصة في الدولة . (١) ومعظم العلماء والفقهاء الذين تقاطروا إلى السودان تمركزوا في دولة الشيخ عجيب المانجلك (٢) شيخ مشايخ العبدالاب . إلا أن اتساع رقعة سلطنة الفونج جعل سلاطينها غير قادرين على بسط نفوذهم على الأقاليم وما بها من قبائل والتي تخضع لهم تارة وتتمرد عليهم تارة أخرى ، كما أن العلاقة بين الفونج والعبدالاب أيضاً كان يسودها عدم التفاهم أحياناً . بل إن العاصمة سنار نفسها كانت مسرحاً لحوادث دامية ، إذ استمرت فيها الإغتيالات السياسية . فكان الوزراء يدبرون المؤامرات ضد السلاطين ، كما أن الوزراء أنفسهم كانوا يقتلون بعضهم بعضاً . ثم أن هذه السلطنة قد دخلت في حرب ضد قبيلة المسبوعات التي حكمت كردفان في ظل حكم الأتراك مع الاعتراف

١ . ضرار صالح ضرار - ص ١٦ .

٢ . مكي شيبة : تاريخ شعوب وادي النيل - ص ٢٢٠ .

بسيادة إسمية لسلطان درافور وتمكن الفونج من هزيمتهم فظل قائد الجيش محمد أبو الكيلك حاكماً على كردفان مدة خمسة عشرة سنة بعدها رجع وخلع السلطان بادي أبو شلوخ حتى سنار وكان ذلك أمراً طبيعياً نتيجة ضعفه وإسرافه في اللهو وارتكاب المظالم وإهانة أهل العلم والصالح وسلب الأموال من عائلات كبار الفونج الذين كانوا في حملة كردفان . (١)

ومن أبرز المظاهر أيضاً في سلطنة الفونج فقدان الشعور بالوطنية السودانية فقداناً تاماً ، فإن الفونج فشلوا في خلق مثل هذا الشعور فشلاً ذريعاً بالرغم من أن الفرص كانت مواتية لهم أثناء حروبهم المتكررة مع جارتهم الحبشة ، وكما أنهم أخفقوا في إيجاد جيش وطني ووضع ميزانية موحدة للدولة كما أهلمت المناطق النائية عن سنار ولم تكن تدعى القبائل للاشتراك في حروب السلطنة مع أعدائها ، كما أن عدم وجود خزانة عامة جعل من غير الممكن أن تتفق الدولة على مرافق الحياة المختلفة . (٢)

وبذا إتضحت بدايات القرن التاسع عشر بمثابة بوابة لدخول شمس سلطنة الفونج الضعيفة المتصارع عليها من قبل أبنائها مع السلطة ، ليفتح الباب أمام الطامعين ولم تكن الأطماع هذه من الشرق حيث الأحباش والذين أصبحوا أعداء تقليديين لحكومة السودان بل جاءت من الشمال حيث يحكم الباشا والي مصر صاحب أكبر قوة في أفريقيا في ذلك الوقت .

وقد كان انتشار الدعوة الإسلامية عند قيام دولة الفونج (٩٣٠ هـ / ١٥٠٤م) لا يعدو أن يكون إسمياً في مرحلته الأولى فلذلك مارسوا الدعوة قبل قيام دولة الفونج بقليل :

- كانت تنقصهم الثقافة الإسلامية العميقة .
- بذلوا جهدهم لكسب المسيحيين والوثنيين في السودان .

١ . المرجع السابق - ص ٢٢٤ .

٢ . ضرار صالح ضرار ص ٩ .

- اعتماد الطقوس دون الدخول في التفاصيل المبهمة والعقيدة .

- تمركز الصوفية وهم يمثلون أغلب الرعايا الأتراك .

من هؤلاء العلماء الشيخ غلام الله بن عائذ اليمنى وقد قدم من (الحليلة باليمن) إلى دنقلا في النصف الثالث من القرن الرابع عشر . كما قدم الشيخ أحمد أبو دنانة والشيخ عبد الله بن سليمان مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب والذي يروى أنه قدم للسودان في القرن الخامس عشر واستقر بمنطقة سقادي غرب . الواقعة غرب المحمية، فإذا صدقت هذه الرواية تكون الشاذلية أول الطرق الصوفية دخولا في السودان وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري في عهد الشيخ عجيب المانجلك قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى دار الشايقية ودرّس فيها الفقه وانتشر علم الفقه في الجزيرة .

ثم بعد يسير قدم الشيخ تاج الدين البهادى من بغداد وأدخل الطريقة الصوفية في دولة الفونج . ثم قدم الشيخ التلمساني إلى الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن وروايته وتجويده ووطد الفونج أركان دولتهم حيث توافد العلماء المسلمين . كشأن أول دولة اسلامية آنذاك لاهتمام الملوك بفرض سلطاتهم عبر نشر الخير وإظهار حسن النوايا . ومن خلال نشر دعو الإسلام وإرسال الهدايا إلى الحرمين الشريفين والقيام بشأن الحجاج كواجب من واجبات الدولة الإسلامية التي يؤمن بها المسلمون في أنحاء العالم . ورؤية الوحدة الإسلامية كل فترة حين قيام دولة إسلامية منذ نهاية الخلافة الإسلامية بعد نهاية الرويلات القريبة المسلمة وتكديس العمل في دويلات بصفتها الحاكمة وكإطار جديد لنشر الثقافة والدعوة الإسلامية فكان التفاف العلماء المسلمين حول دولة الفونج (١).

ونسبة لما يجدونه من اهتمام خاص من زعماء دولة الفونج بما قدموه من هبات

١ . انظر تاريخ السودان - نعوم شقير - ص ٤٥ - ٤٦ .

وهذا يشجع على توافد العلماء إلى السودان . فأخذ رجال الدين يشرحون للناس أصول دينهم مبينين لهم ما يتقارب مع موروثاتهم من عادات وثنية وتقاليد مسيحية . وبازدياد عدد العلماء الذين بدأوا كمرحلة ثانية في نشر الإسلام وتعميق مفاهيمه على أسس سليمة إلا أن الطابع الصوفي كان هو الغالب عند أولئك النفر الذين قدموا لنشر الإسلام في السودان ذلك لأن تلك الفترة قد غلبت فيها الطرق الصوفية وهيمنتها على كثير من مظاهر الفكر الإسلامى وقد خضع انتشار الإسلام خضوعاً تاماً للجو الصوفي وهيمنته على كثير من مظاهر الفكر الإسلامى . وقد اتخذ المتصوفة أسلوباً بسيطاً لنشر الدعوة يتمثل في :

١- اتباع منهج خلقي تعبدي خاص .

٢- قراءة أذكار وأوراد معلومة .

٣- التمتع بالخلق والورع والزهد .

ولكن بالرغم من ذلك فقد ساهم كثير منهم في إفساد العقيدة وذلك عندما اختلطت المفاهيم العقدية على البعض .

فاعتقدوا أن شيخ المتصوفة لديه بركة من الله وهو بما أوتي من بركة يعتبر خير واسطة بين العبد وربّه ، وإن كان صاحب هذه البركة حياً أو ميتاً ينقذ ويشفع لمن يتوسل إليه، فصار مشايخ الطرق الصوفية يمثلون قوة روحية ذات سلطان ، واختلط السلطان مع الطريقة وأضحت معالم الطريقة تأخذ أوجه نظام السلطنة في كل عمليات التنصيب ومناسبات الدولة والحفاظ على مقدرات الدولة وجبروتها . ذلك باعتقاد أن الأحياء والممات على أيدي مشايخ الطرق الصوفية والضرر والنفع بيدهم أيضاً ، ولم يبذلوا جهداً لإزالة مفاهيم الدجل والشعوذة والخرافات حتى أصبحت أحد مظاهر التصوف لدى عامة السودانيين وشهدت الأضرحة والقباب والقبور انتشاراً واسعاً على شاطئ النيل الرئيسي

(النيل الأزرق) (١) وبدلاً من أن تدل تلك الظواهر على تصور في عمق التدين صارت تدل على تصور في الاتجاه الصحيح إلى الله تعالى وفساد في العبادة الصحيحة ومنذ فجر الحكم التركي المصري إلى السودان وجد الصوفية وطرقها متمكنة في السودان فحاول الاستفادة منها إلى أقصى درجة والاستعانة بها في كثير من المواقف لتثبيت دعائم وخدمة السياسة في البلاد .

أخيراً نخلص إلى أن الصوفية وانتقال الإسلام من شرق أفريقيا إلى دولة الفونج وتمسك أهل المغرب العربي بالتصوف كان له كبير الأثر في نشر التصوف قبل ترسيخ الدعائم الأساسية للدعوة الإسلامية وقد كانت أحد أساليب الدعوة أنها صادفت الهوى الأفريقي في شكل إنحرافات العقائدية لإيمان العنصر الزنجي بالخرافة والسحر والشعوذة فقد وجدت تلاحقاً جديداً أسفر عن ميلاد انحسار للمفاهيم الإسلامية الصحيحة وترسيخ الأفكار الدخيلة وإضافة همهمات وتمتمات على الفهم الإسلامي وحصر الدور الفكري في الاتجاه الروحي فحسب . (٢) مما دعم الموقف السياسي الاستعماري عند دخول الأتراك إلى السودان وعند دخول المستعمر البريطاني مما غيب الوعي الشبابي الإسلامي وأصبحت مثل هذه القضايا تثير جدلاً عقائدياً حتى اليوم وتسهم في نشر الأفكار العلمانية واليسارية وغيرها . وقد ظهر ذلك جلياً في ملامح ظهور سلطنة الفونج وكان لا بد من التعرف على تطور الأحوال في المناطق المجاورة وفي أرتريا خاصة . حيث كانت عاصمة السلطنة وذلك لنستطيع تكوين التركيب التاريخي لبداية هذه السلطنة حول النيل الأزرق فقد كان هناك تنافس قبلي و صراع بين المجموعات القبلية . انتهت في أوائل القرن الخامس عشر بنهاية بعض القبائل وظهور مجموعة الهدندوة ومطاردتها لجماعة البني عامر التي كانت تسيطر على منطقة واسعة امتدت في الشمال حتى عيذاب . ثم تأثرت

١ . طبقات ود ضيف الله - من ص ١٠ إلى ص ١٤ .

٢ . مقابلة ميدانية مع الشيخ / احمد حسن احمد - مشرف الدعاة عن مكتب الملحق الديني - بورسودان ١٩٩٩م.

المنطقة الشمالية الغربية للحبشة بحروب الإمام «أحمد القرين» و«النجاشي» التي بلغت ذروتها في العقد الخامس من القرن السادس عشر وكانت خاتمة المطاف من المنطقة الشمالية للحبشة حول التجارة ومراكز النفوذ وبدأت في تلك الفترة تباشير النشاط الأوربي ودخول كل من البرتغال والعثمانيين والصراع بينهما حول التجارة ومراكز النفوذ . والنشاط الأوربي على ساحل أفريقيا الشمالي في الزحف نحو الشرق وكان لازماً بطبيعة الحال وفق التضيق والحصار من اللجوء للهجرة كطريقة يمكن من خلالها تحقيق الآتي :

١- أهداف الدعوة الإسلامية لسلطنة الفونج .

٢- إيجاد مداخل اقتصادية يمكن أن يتم من خلالها التبادل التجاري .

٣- عمل تنظيمات السلطنة في حوض النيل الأرزق كمنطلق سياسي من خلاله يمكن تثبيت دعائم الدولة وقاعدتها .

٤- خلق تحالفات جديدة مع الزعامات كمؤيدين وتوسع أطر المشاركة ويظهر ذلك جلياً من خلال تحالف العبدلاب .

استطاعت دولة الفونج بهذه الهجرة وفي ظروف خارجية عصيبة تتمثل في انتقال ممارسة سلطاتها من جنوب أرتريا إلى وسط السودان وتجاوز مراحل الصراع خلال بداية القرن السادس عشر ونهاية القرن الخامس عشر وتم الصراع المتمثل في النشاط البرتغالي لكشف طريق بحري للوصول إلى الشرق والسيطرة على تجارتها وتحويلها إلى البحر المتوسط بعيداً عن أيدي العرب . خلال فترة حركة البرتغاليين ونشاطهم لم تلتفت الدويلات العربية المؤسسة على سواحل أفريقيا الشرقية نسبة لانشغالها بالخلافات الداخلية ولجهلهم بتعاون بعض العرب مع البرتغاليين لتصفية الخصومات بينهم . بل كانت تقديراتهم مبينة على الخطأ الفاسد وقد سعت دولة الخلافة العثمانية للتوسع على

حساب الصراع (١) الحادث بينها فسعت للاستيلاء علي مصر والمصريون والعثمانيون على البرتغال فقد أضاعوا عشرات السنين قبل أن ينزلوا إلى مقاومة البرتغال في البحر الأحمر والمحيط الهندي بعد أن أخفقت القوات البحرية المصرية . كما أن الجزر الإسلامية كانت تحت سيطرة المسلمين منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وجعل على قيادتها أمراء من بنيهِ وقد قام الأمويون بتجديد عمارة عدد من الموانئ منها بته ومولندي وزنجبار وممبسا ولامو وكوله وقد تعرضت هذه كما تعرض غيرها من موانئ الساحل الأفريقي الشرقي لهزات عنيفة بسبب موقعها الإستراتيجي. فقد جاء العباسيون بعد سقوط الدولة الأموية وتبع هؤلاء عدد من الجماعات القبلية والمغامرين والتجار من مختلف الأقاليم . هذه هي الملامح العامة التي أحاطت مرحلة قيام دولة الفونج والتكوين العربية الأفريقية لإنسان الفونج المسلم وخطوات الهجرات التي يمكن من خلالها قراءة أبعاد التفاصيل والسلوك الحقيقي لنتائج الاختلاط التصاهري العربي والآخر ، ومدى صلابة ذلك التحالف كما أورده «البصيلي» في كتابه تاريخ حضارة السودان . حيث أن هؤلاء الفونج انتقلوا من جبال النوبة إلى جبل موية المجاور لجبل سقدي على مقربة من سنار ، وكان كبيرهم / عمارة دنقس ، وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له «عبد الله جماع» . فعمل عمارة وعبد الله جماع المذكوران على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيديهم .

وهكذا أظهرت دولة الفونج منذ فجرها الأول مظهراً إسلامياً عميقاً فامتدت حياتها الأولى مساهمة في حركة الجهاد الإسلامي . فقضاؤهم على مملكة علوة المسيحية هي من منطلق إسلامي كآخر عقبة في سبيل إنتشار الإسلام

١ . تاريخ مملكة سنار - تاريخ السودان - نعم شقير - تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم - ٩٤ - ١٣٥ - الباب الرابع - بيروت - دار الجبل ١٩٨١ م .

والتحالف الإسلامي كان له دور في تحقيق الانتصار ولم يتوانوا في مناصرة هذا البلد واشتركوا في حركة أحمر القرين التي حددت اتجاه تاريخ الحبشة وقد أسهموا في محاربة الوثنيين في داخل السودان نفسه فقد أفتى العلماء بجهاد النوبة بسبب غاراتهم على كردفان حتى يؤمنوا بالله فتألفت من أجل ذلك جماعات كان يتولى قيادتها (بدوي أبوصفية البديري). وأدخلوا نظم تعليم القرآن والضروري من الفقه التوحيدي ثم يعيدونهم إلى بلادهم . ليتولوا نشر الدين بين قبائلهم كما حاربوا الشلك لنفس هذا الغرض ومشاركتهم ضد الأحباش في القرن الثامن عشر وتبين أنهم كانوا على اتصال بالمسلمين في مصر لتحقيق هذا الغرض . كما ذكر نعوم شقير (إذ أن لويس الرابع عشر ملك فرنسا أرسل سنة ١٧٠٣هـ هدايا فاخرة إلى ياسو ملك الحبشة مع مبعوث اسمه (لانو اردي رول) فرحل إلى مصر في ١٩ يوليو سنة ١٧٠٤م وكانت جيوش الفونج يقودها الأمين ودمسمار ، ودعجيب شيخ قرى وكان أمير الفرسان الشيخ محمد أبو الكيلك كبير الهمج وكان لهذا النصر دوي هائل في العالم الإسلامي . (١)

بلغت الأخبار مصر والشام والحجاز وتونس والقسطنطينية والهند . فلم يكن إسهام الفونج في نشر الإسلام متوسلين بالجهاد فحسب وإنما استعانوا بالوسائل السلمية عملوا على تنشيط الدعوة الإسلامية واشتدت رغبتهم في النهضة بالدين ومصادق ذلك تشجيعهم للجهود التي بذلها الفقيه بدوي البديري في جبال النوبة والجهود التي قام بها الشيخ إسماعيل الوالي في جبال كندكروا ، وقد ساهم في هذه الحركة الإسلامية الكبيرة الدعاة الوطنيون والدعاة الوافدون من البلدان الإسلامية المختلفة وتميز عهد الملك بادى الثاني أبو دقن بالنشاط الإسلامي البالغ . (٢)

١ . المرجع السابق - ص ٩٧ - ١٢٧ .

٢ . السودان عبر القرون - مكى شبكة - دار الجبل - بيروت ط ١ / ١ / ١٩٩١م ص ٩٣ - ٩٥ .

وقد كان في حوض وادي النيل مجموعة من الرجال الدينية المتصوفين اتخذ كل منهم مركزاً معيناً يمارس فيه إدارة خلوة (كتاب) للتعليم وقد برز منهم عدد كبير وكانت البلاد . بعد ظهور الدعوة الإسلامية وقبل أن يدخلها العرب تحكم من قبل ملوك مؤهلين يملكون رقاب الشعب ولهم حرية التصرف في سكان المناطق التي يتولون حكمها ، وكان الملك وهو الرئيس الديني والديني « شمولية الحكم الإسلامي في النظام السياسي » فكان يتولى البدء في بذر البذور في أول التطبيقات أن كان لهؤلاء الملوك مجموعة من معاونين من رجال الدين والمدنيين بخاصة في الأماكن البعيدة عن العاصمة . وكان من الضروري أن تنتقل مثل هذه العادات والتقاليد وتمارس في العهد الإسلامي ويرجع ذلك إلى الحقيقة الواقعة إن ولاية العرش قد انتقلت إلى ابن الأخت أو ابن البنت و حاشيته قد عدد رجال الحكم التقليديين ،وأخذت هذه التقاليد والعادات في التطور أيضاً في بقاء خلال أمد طويل فتخلى الحاكم الذي كان جده وأولاده يدينون بلاسلام عن السلطة الدينية التي انتقلت إلى الشيخ المتصوف وتطورت هذه المشيخات الدينية وانتعشت معها المسائل السحرية وخوارق العادات وكان هؤلاء المشايخ من رجال الدين قوة لا يستهان بها لو تهيأت لها الفرصة السلمية من مجتمع متطور لا تشوبه الجهالة تدخله في كل يوم مجموعات كبيرة في مستوى أقل مما كان عليه السكان المحليون ، فلم يكن هناك سبيل إلى التقدم والتطور إلى مستويات أرفع ، وقد أثر ذلك « أرباب العقائد التي شددت إليه الرحال في علم التوحيد والتصوف » ... الشيخ صفيرون وأمثاله والشيخ تاج الدين البهاري وتوالى مشايخ العلم والطرق الصوفية متبعين التقشف والزهد والتعبد حتى دهش الملوك والقاطنون بمملكة سنار . (١)

ولعام ١٥٠٥م أثر واضح لدولة الفونج حيث تم التحالف بين العرب الفونج

١ . المرجع السابق - النهضة الدينية ص ٦٨ .

والقواسمة الذين هاجروا إلى مملكة علوة واستقروا فيها وظهر نفوذهم واضحاً جلياً في ذلك العصر وهو تحالف عميق الجذور، وأبلغ ما يدل على هذا العمق أنه استمر طوال القرن السابع عشر وبعض القرن الثامن عشر . وإسهامه في توجيه الحوادث في تاريخ السودان .

١- وهو تحالف أملتة قرابات أسرية وأهداف إسلامية .

٢- فقد طابع الجهاد ضد الصليبية .

٣- الجهاد للقضاء على دولة المسيحيين بعلوة .

٤- وهو يمثل إنطلاق التحول الجهادي في هذا الوقت والوقوف ضد الزحف الصليبي المنتقض في أرجاء العالم . وهى مساندة لجهاد شريف في أفريقية لمنازلة الصليبية . في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومناطق البلقان و جهاد المغاربة ضد الغزاة البرتغاليين والأسبان و جهاد مسلمي الحبشة لقهر النفوذ المسيحي ، هذا الجهاد الذي تزعمه أحمد بن إبراهيم القرين . هذا الجهاد حقق أهدافه كاملة . فقد تمخض عنه القضاء على مملكة علوة المسيحية قضاء تاما وإعلاء كلمة الإسلام في السودان وادي النيل .

في هذا الإطار يهمننا أن نتعرف على هذه الظروف السياسية والاجتماعية حول حدود دولة سنار نسبة لمؤثراتها المباشرة على سلطنة الفونج الإسلامية التي أسهمت في نشر الدعوة الإسلامية بالمنطقة الشرقية .

المطلب الثاني : الكوادر المخلصة

تمهيد

ومما يجدر ذكره أن من أهم قنوات التبشير الإسلامي في منطقة النيل الأزرق والتي كان لها الدور الفعال المعتبر في نشر الإسلام في هذه الربوع النائية والمتعطشة لنور العلم والمعرفة حيث قبائل التداخل اللغوي والتمازج الحضاري والصراع القبلي والعنصري والمسيحي والتي قدوقفت شامخة أمام هذه التحديات هي جماعة الطرق الصوفية وجماعة أنصار السنة المحمدية والشئون الدينية وبعض الأفراد .

أولاً : الطرف الصوفية والأفراد :

إن الطرق الصوفية قد لعبت دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية حيث أقامت الخلاوى التي ما تزال منارة للإسلام يقوم الشيخ فيها مقام المعلم والمربي والزعيم بل يقوم مقام المأذون والقاضي الشرعي وهذا بالطبع نوع من تنظيم الحياة على المنهج الإسلامى .

والطرق الصوفية برغم حماسها للعمل الإسلامى إلا أنها تعاني النقص الشديد في الفقهاء الذين يعلمون الناس الدين وهذا ما تعانيه مناطق السودان عامة حيث تبشر المريدون لنشر الإسلام والطريقة لكنهم يجهلون كثيراً من أمور الدين وفاقداً الشيء لا يعطيه (١).

أما أثر الأفراد على الدعوة الإسلامية قليل جداً وذلك لأن الحس الإسلامى للأفراد في السودان الآن منخفض جداً إذ لم يكونوا كالأوائل الذين يمشون على الأرض دعاة بل الكثير منهم اليوم لا يعي بما حوله من حركة الإسلام وأيضاً ضده وبسبب التجارة والوظائف وأسباب المعيشة ارتحل عدد من المسلمين إلى مناطق الوثنية في جنوب النيل الأزرق فأثروا إيجاباً في السكان فدخل على أيديهم كثر من الناس في الإسلام بطريقة مباشرة ، إلا أن بعضهم أثر سلباً حيث أحدث الاستغلال وسوء السيرة حواجز نفسية ما تزال الكنسية تزكيتها حفاظاً على وضعها المتهاوي لتجعل منها سبباً وسيلة تقربها من الوثنيين .

ومن ذلك أن بعض الأفراد درج على إقامة خلاوى بقصد لفت نظر الشئون الدينية والهيئات الإسلامية لدعمها مادياً دون عائد علمي .

وحتى الخلاوى الجيدة لا يجد شيوخها سوى إعانة قدرها ستون جنيهاً (سابقاً) فقط مما يضطرهم لإضاعة غالب وقتهم بحثاً عن الرزق وبالتالي التقصير في

١ . مقابلة ميدانية مع الشيخ عوض الله يوسف مدير الدعوة الشاملة بولاية النيل الأزرق - المقابلة ١٩٩٦ .

حق الخلاوي والتلاميذ . والخلاوي المسجلة لدى الشئون الدينية الآن لم تكن كلها عاملة فمنها ما هو يعمل الآن ومنها ما هو متوقف بسبب الحرب والشئون الدينية ليس لديها مقرأ للخلاوي مما ترك الأمر عرضة للإهمال من جانب الشيوخ.

وأيضاً فإن الشئون الدينية تعاني من ضعف ميزانيتها مما لا يفي بواجبات عملها . (١)

الخلاوي والمساجد المشهورة بالمنطقة

المنطقة	عدد الخلاوي	عدد المساجد
المنطقة الشمالية سنار	٧٧	٧٦
منطقة أبو حجار	٥٧	٢٩
منطقة السوكي	٢٧	٢٢
منطقة ضواحي سنجة	١٥	٣٠
منطقة الدندر	٢٣	١٣
المنطقة الجنوبية الكرمك	١٨	٩
منطقة قيسان	١٣	٥
المنطقة الوسطي الروصيرص	١٥٢	٦٨
الجملة	٢٨٣	٣٧٣

الشيخ أحمد برونأوي :

ومن الأفراد الذين كان لهم الأثر الواضح و البصمات الثابتة في الدعوة الإسلامية في جنوب النيل الأزرق الشيخ أحمد البرناوي الذي نسب نفسه إلى قبيلة البرون .

١ . مقابلة ميدانية مع الاستاذة / رحاب عوض الكريم - رياضة اجتماعية بولاية النيل الأزرق - واستاذ بكلية التربية جامعة الخرطوم ١٩٩٨ .

فهذا الشيخ قد قدم إلى هذه المنطقة داعية إلى الله لا يشغله عن الدعوة الإسلامية شاغل ، فاستطاع في زمن وجيز أن يدخل أكثر من ألف شخص في الإسلام ، كما استطاع أن يجمع الناس حوله بصورة لم يسبق لها مثيل . وذلك لسببين أولهما أنه لم يتخذ الدعوة الإسلامية وظيفة هامشية يعطيها العفو من زمنه بل كانت الدعوة هدفه ومقصده .

ثانيهما أنه جمع بين العلم والورع والتواضع مما جعله أكثر قبولاً في قلوب الناس وأكثر علمية في تفهم مشكلاتهم والتفاعل معها . وقد خطا هذا الرجل خطوة إيجابية في الدعوة بأن أقام مشروع إعاشة للمهتدين المابان بقرية بلتوما وذلك ليجمعهم حوله ثم يسر لهم كسب العيش الحلال ليكون عوناً لهم في ترك ما حرم الله من الخمر ولحم الخنزير بجانب أنه إذا ما توفرت لهم سبل كسب العيش الحلال لم يكن لديهم ما يشغلهم عن دراسة الإسلام وتعلم علومه .

وقد ساعدته هيئة إحياء النشاط الإسلامي في هذا العمل بجرار ودسك ، كما ساعدته منظمة الدعوة الإسلامية بأفراد في العمل في هذا المشروع . لكن مشروع بلتوما فشل لنواحي فنية بحتة . ثم أن الشيخ نفسه لم يمكث طويلاً . ورغم ذلك لم يستطع الرجل أن يستمر في المنطقة وذلك لما لاقاه من معاكسة الكنيسة . وغادر المنطقة إلى أثيوبيا وما زال يعمل بها داعية . (١)

ثانياً : منظمة الدعوة الإسلامية ؛

امتد نشاط منظمة الدعوة الإسلامية خلال عام ليشمل الجزء الأوسط كله في المنطقة حيث أنشأت مراكز كنانة وسنار وهي بصدد إنشاء مراكز أخرى في كل من السوكي وكوستي والدندر .

ولها مراكز في شالي والكرمك وباو ، أخيراً قيسان حيث تتمركز الوثنية وكان عمل هذه المراكز يبشر بمستقبل مشرف للإسلام في هذه المناطق إلا أن

١ . مقابل ميدانية مع الشيخ / عوض الله يوسف مدير ادارة الشؤون الدينية - ولاية النيل الأزرق ١٩٩٧م.

الإضطرابات الأمنية حالت دون استمرار العمل في كل من الكرمك وقيسان وشالي ومنظمة الدعوة الإسلامية منظمة يقوم عملها على الدراسات ، والتخطيط المدروس لذلك فهي أكثر الهيئات العاملة في الحقل الإسلامي وقد استفادت من أخطائها وأخطاء غيرها فبالتالي هي أكثر تأثيراً وثباتاً على الطريق . وأنشطتها في الدعوة المباشرة وغير المباشرة .

أ- الدعوة المباشرة :

هي الاتصال المباشر بغير المسلمين بطريقة فردية أو جماعية ودعوتهم للإسلام . وكان لها أثراً بالغاً في دخول مجموعات كبيرة شملت مناطق الأنقسنا والمنطقة الجنوبية (الكرمك) ومناطق معسكرات النازحين في شمال الولاية وجنوبها . ومن المشكلات التي تواجه الدعوة المباشرة في العمل الإسلامي الحاجز النفسي الذي أوجده بعض جامعي المال من التجار وبعض النفعيين من الموظفين والذي يحتاج لفترة من التأليف قد تطول أحيانا . لكن بالرغم من ذلك فإن أسلوب الدعوة المباشرة فعلاً جلب الكثيرين من الوثنيين إلى دائرة الإسلام . (١)

وعندما أحست المنظمة بجدوى هذا الأسلوب استخدمت قوافل الدعوة ، وهي تخرج محملة بما يحتاج إليه من المؤن والمواد الغذائية للتأليف ثم تترك بالقرى المقصودة وتمكث بها أسبوعاً أو اثنين أو ثلاثة حسب الضرورة ، يعرضون الإسلام على الناس بعد جمعهم بواسطة زعاماتهم فيستجيب الكثيرون منهم للإسلام ، ويدخلون فيه طوعاً . وبعد انتهاء مدة القافلة يكن بالقرية شيخا يدرس الناس أمور دينهم كما يبني بها مسجداً بالمواد المحلية ، لأداء الشعائر الدينية (٢).

١ . مكتب منظمة الدعوة الإسلامية - النيل الأزرق - محافظة باو - إدارة الدعوة - الصادرق آدم ١٩٨٩م.

٢ . مقابلة مع الأستاذ / أحمد أبشر الحسن - مدير منظمة الدعوة بالدامزين ١٩٨٩م.

وتعتبر هذه القوافل أنجح السبل لنشر الإسلام في أواسط الوثنيين وغيرهم بعد جمعهم بهذه الوسائل . وقد استخدمت هذه القوافل في الأنقسنا عام ١٤٠٧هـ حيث دخل بواسطتها (٤٥٧) شخصاً في الإسلام . والملاحظ أن الشباب من أبناء القبائل الوثنية في المنطقة الجنوبية أكثر تجاوباً مع الإسلام من الكبار وذلك لأنهم أكثر اختلاطاً بالمسلمين وأنهم أقل تمسكاً بالعادات الوثنية التي ينظرون إليها بعين التمرد على القديم الذي لا يتماشى مع الحاضر المنفتح على المجتمع الأفضل بجانب أنهم لم يجدوا في عادات قبائلهم سوى التخلف كما يذكر أحد المهتدين من أبناء المالين .

المواكبة :

ولما كانت منظمة الدعوة الإسلامية تقوم بهذا العمل الدعوي ليكون ذا مستقبل للأجيال حتي يؤتي أكله بإذن الله فقد انعكست مجهودات منظمة الدعوة الإسلامية وظهرت ثمار التربية الإسلامية في بناء شخصيات المدعوين والدارسين في الآتي :

- ١- بدأ التلاميذ يعكسون ما يتلقون من تعليم إلى ذويهم .
 - ٢- قام بعضهم في المساعدة في التدريس في الخلاوى المقامة في قراهم .
 - ٣- أظهر بعضهم التمرد على أكل الخنزير وشرب الخمر وهى ممارسات معروفة عند قبائلهم . (١) كما أنشأت المنظمة أيضاً مدرستين بالدمازين في العام الدراسي ١٩٨٩ - ١٩٩٠م إحداهما للبنين والأخرى في حي فيفي .
- أما مدرسة البنين فقد استوعبت خمسة وستين تلميذاً لم يتخرج منهم أحد ، وأما مدرسة البنات فقد استوعبت نفس العدد تقريباً إلا أنها لم تستمر ، والسبب المباشر هو الوضع الاقتصادي للأسر مما يضطر البنات للعمل في البيوت وقطع الدراسة .

١ . مقابلة مع الشيخ عبد الرؤف محمد حمزة مدير الشؤون الدينية والأوقاف مكتب سنار ١٩٨٠ - ١٩٩٥م - كانت تسمى محافظة النيل الأزرق .

ب- الدعوة الغير المباشرة :

وتتمثل في التعليم والرعاية الصحية والمساجد والشباب والنازحين

المدارس :

وتشمل أربعة رياض للأطفال والإرشاد النسوى وتعليم الكبار وخلاوى القرآن ففى مجال المدارس أقامت المنظمة معهد شالي للقرآن الكريم الذى أقامه أحد المحسنين لمناهضة النشاط الكنسى بتلك المنطقة ثم أدير بعد ذلك وفق اتفاقية مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف . (١)

رياض الأطفال :

أنشأت المنظمة روضة أطفال فى كل من الكرمك وشالى وباو مهيأة بالوسائل التعليمية ولكن توقفت الروضتان بسبب الاضطرابات الأمنية عام ١٩٨٧م. كما أنشئت روضة أخرى بالدمازين لنازحي شالي . أما روضة باو فتزاول عملها إلى الآن وتطبق منهجاً وضعتة شعبة التعليم . (٢)

الشباب :

اهتمت المنظمة بالعمل الشبابي وأقامت مهرجانا خلال العام (١٩٩٢) تنافست فيه عدة فرق . كما أقامت بعض الفرق بمعسكرات النازحين وبعض أحياء الدمازين .

النازحون :

كذلك اهتمت بالنازحين وقدمت لهم العون حين قدومهم كما أنشأت وحدات دعوية بكل من معسكر العمارة ومعسكر قنيص شرق ومعسكر العصا صير. كل وحدة دعوية تشمل مسجداً وخلوة ووحدة صحية .

١ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ مصطفى محمد - نائب والى النيل الأزرق ١٩٩٨ م .

٢ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ / محمد المهدي - مدير منظمة الدعوة الإسلامية بباو - مدير قرية حنان بابي رخم الآن .

ثالثاً : الشئون الدينية والأوقاف :

وهي الجهة الرسمية التي يقع عليها عبء الدعوة الإسلامية ، وطبيعة عملها تتمثل في الوعظ والإرشاد للمسلمين وحمل الرسالة الإسلامية بجانب رعاية الخلاوي ومعاهد القرآن الكريم والمساجد بالدولة .

لم ينتقل عمل وزارة الشئون الدينية والأوقاف للمنطقة إلا بعد الاستقلال حيث كانت المنطقة مقفولة بواسطة المستعمر لا يدخلها أحد من المواطنين أو يخرج منها إلا بتصريح رسمي حكومي من المستعمر . والشئون الدينية أول من دخل المنطقة الجنوبية يحمل الدعوة الإسلامية بأسلوب مدروس ، حيث انتشر مرشدوها في المنطقة بحركة دؤوبة لنشر الإسلام وآدابه إلا أنهم كانوا يؤدون عملهم كأفراد أكثر منهم كشئون دينية وذلك للإهمال الشديد من الحكومة السودانية بالدعاة بعد الاستقلال إلى يومنا هذا .

الوعظ والإرشاد :

أسلوب الوعظ والإرشاد أسلوب ناجح في الدعوة بالتجربة إذا ساندته الدولة بتطبيق عمل شرعي وإلا سيكون مجرد حديث يقال ولا ينفذ . وبعد التمدد في القاعدة السكانية كان ينبغي أن يواكبها تمدد في عدد المرشدين في الشئون الدينية إلا أن عدد المرشدين في كل المديرية لا يتجاوز الستة عشر مرشداً خمسة منهم بالمنطقة الجنوبية والوسطى والروصيرص .

رابعاً : أنصار السنة المحمدية :

وهي جماعة دينية تركز في دعوتها على تصحيح العقيدة واتباع السنة المحمدية ومحاربة البدع والضلالات . دخلت المنطقة في بداية سنة ١٩٦٠م ، ولها أثر فعال في مجال تصحيح العقيدة إلا أن بعض دعائها اتصفوا بالشدة في بعض المواقف مما أثر سلباً على الدعوة الإسلامية .

أنشأت عدة مساجد في المنطقة في كل من السوكي . أبو قرع - الدندر
والروصيرص وشالي والأخير به وحدة صحية وخلوة تحفيظ القرآن . (١)

١ . مقابلة مع الشيخ حمدين يوسف - رئيس أنصار السنة بالروصيرص .

المطلب الثالث

انتشار المراكز الدعوية

المساجد والخلاوي

إن للمسجد رسالة لا تخفى على أحد ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم إلى المدينة بدأ أول ما بدأ ببناء المسجد ليربط العباد برب العباد ، تؤدي فيه الشعائر الإسلامية وتقام فيه حلق العلم والمعرفة ، وقد كان للمسجد على عهد السلف الصالح يمثل وزارتي الثقافة والتربية والتعليم وقد تخرج فيه القادة العسكريون والعلماء العاملون والأطباء والفلاسفة لكن أعداء الإسلام حين عرفوا خطورة المسجد وأنه الشريان الذي يغذى قلوب المؤمنين بالإيمان عملوا واجتهدوا -ونجحوا للأسف - في إضعاف دور المسجد في الحياة العامة في معظم بلاد الإسلام .

في هذه المنطقة فإن رئاسة المسجد يتولاها في الغالب أئمة غير مؤهلين التأهيل الكافي ، فهم في الغالب ليسوا من خريجي الجامعات ولا المعاهد الإسلامية ، إضافة إلى أن مرتباتهم لا تتعدى ثمانين جنيهاً شهرياً ، هم فيها زاهدون الأمر الذي يجعلهم يبحثون - على حساب وظيفتهم - على أعمال أخرى يرتزقون منها وفي المديرية حوالى (٢٧٣) مسجداً مسجلة بالسئون الدينية منها ما هو مبنى بالمواد الثابتة ومنه ما هو مبنى بالمواد المحلية .

وقد أقامت منظمة الدعوة الإسلامية أربعة مساجد بالمواد الثابتة كلها في جنوب النيل الأزرق ، بينما أقامت واحداً وثلاثين مسجداً بالمواد المحلية ، ثلاثة منها بمنطقة سنار والبقية بجنوب النيل الأزرق ومنها ما هو مبنى بالمواد المحلية .

وقد أقامت منظمة الدعوة الإسلامية أربعة مساجد بالمواد الثابتة كلها في جنوب النيل الأزرق وما يزال دورها تقليدياً . (١)

١ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ / الياس جيمس كوكو - مدير الرعاية بالدامزين - ١٩٩٧م .

أما في مجال التنمية فقد شرعت في تنمية قرية بلتوما الجديدة التي نزح إليها الملبان بسبب الحرب ١٩٨٦م وهنا أشير إلى شابين من أبناء الكرمك كان لهما الفضل في ذلك عظم الله أجرهما حيث خططا القرية تخطيطاً علمياً .

كما أقامت المنظمة خلوة نموذجية ومسجداً تم بعد ذلك التصديق له بموردة وخطب حريق وفحم وقش بغرض تنمية وترقية مستواهم المعيشي ، كما منحهم هيئة أحياء النشاط الإسلامي تراكتور يستغلونه لرفع مستوى دخلهم . وتصديق لهم أيضاً بوابور لرفع الماء وبرميلين جازولين أسسوا بها مزرعة خضروات لتدر عليهم عائداً ، وقد وافقت السلطات المحلية بزراعة مشروع إعاشي لهم ولكن اضطراب الأمن وسقوط الكرمك ١٩٨٧م في أيدي الخوارج أدى إلى أن يساق المهتدون جميعهم ليدخلوا أثيوبيا .

الخلاوي :

أما الخلاوي فذات كم هائل مسجل منها بالشئون الدينية والأوقاف (٢٨٢) خلوة بالمديرية . وهي بالرغم من أنها منارة للإسلام في القرى والريف ، إلا أنها لم تؤد رسالتها بالصورة المطلوبة حيث قل تجويد الأداء فيها وبالأخص بالمنطقة الجنوبية وذلك لعدم التأهيل الكافي لكثير من الشيوخ .

وقد أنشأت المنظمة خلاوي في مراكزها بجانب مساندتها لبعض الخلاوي ببعض المواد الغذائية أو المرتبات الرمزية ، كما حددت المنظمة مناهج الخلاوي التي أنشئت في القرآن الكريم والحديث والفقه . أقامت أيضاً خلوتين نموذجيتين رغبة منها في تطوير أداء الخلاوي في قرية بلتوما الجديدة وقرية أفر الراقريق إلا أن الاضطرابات الأمنية أوقفتها ، وقامت الفكرة على تقديم وجبة ترغيبية للتلاميذ كما يقدم لهم الكساء وذلك لينشأ الأطفال مسلمين بدلاً أن ينشأوا على غير الإسلام .

أنشأت المنظمة خلاوي سنة ١٩٨٦م في مناطق الأنقسنا إلا أنها لم تُخَرَّج إلى الآن حافظاً واحداً . ليس ذلك لسبب سوى أن الشيوخ أنفسهم غير حفظة وفاقد الشيء لا يعطيه . وقد أقامت لهم المنظمة كورساً تأهلياً في جمادى الأولى / ١٤١٠هـ .

وما تزال تسعى للحصول على الحفظة في هذا السياق . وبالرغم من ذلك فإن خلاوي المنظمة بجنوب النيل الأزرق يستفيد منها أكثر من ألف تلميذ . (١)

الإرشاد النسوي وتعليم الكبار :

أقامت المنظمة حلقات دراسية مزودة بكل الوسائل التعليمية للنساء في كل من الكرمك وشالي وياور ، مفتوحة لكل النساء ، تدرس فيها علوم الفقه السيرة والتوحيد والتجويد . إلا أن حلقتي الكرمك وشالي قد توقفتا بسبب الاضطرابات الأمنية ، كما أنشئت حلقة أخرى بالدمازين ١٩٨٨م وقد خرجت دفعتين ، كما أنشئت البعثة حلقات لتعليم الكبار في كل من باو والكرمك وشالي وقد توقفت أيضاً ، وحلقات التعليم لا تقتصر على محو الأمية فحسب بل تدرس معها الفقه والعبادات والطهارة وقراءة القرآن .

الرعاية الصحية والاجتماعية :

أقامت المنظمة بالتعاون مع الوكالة الإسلامية للإغاثة ووزارة الصحة وحدات علاجية بمعسكرات النازحين عددها أربعة وحدات في كل من العمارة ، أبو رماد ، فيفي شرق وفي خي العصافير .

دور المهتدين :

هم حديثوا العهد بالإسلام الذين لا بد من العناية بهم وتعليمهم أمور دينهم حتى لا يرددوا بعد إسلامهم . شيدت لهم المنظمة دوراً في قرأهم تسمى دور المهتدين لتعليمهم أمور دينهم كما أقامت المنظمة معسكرات دعوية لتعليم المهتدين بمعسكرات النازحين بالمنطقة الشمالية والجنوبية وتشمل تحفيظ القرآن ودراسة العلوم الإسلامية الأخرى .

١ . منظمة الدعوة الإسلامية - برنامج التعليم - مقابلة ميدانية مع الشيخ عوض الله يوسف .

المبحث الثاني

معوقات العمل الدعوي بالمنطقة

أولاً : وعورة المسالك والطرق :

إن البنية التركيبية والجيولوجية المبعثرة في جنوب النيل الأزرق والتي تنتشر فيها صخور القاعدة الأساسية Bas emet complex بأنواعها المختلفة النارية والمتحولة والتي تظهر في شكل سلاسل جبلية وجبال متناثرة تغطي مساحة النيل الأزرق حالياً وقد أسهمت اسهاماً مباشراً في وعورة المسالك والطرق بتلك الولاية فهذه الجبال الشاهقة والتركيبية النباتية المعقدة ، والتي تنتشر فيها الغابات والحشائش ، والتي تظهر أساساً كناتج لحركة لمياه السطحية بالمنطقة ، وهطول الأمطار الكثيفة ، هي مساهم آخر وفعال في سوء حركة النقل بكل المناطق الجنوبية .

إن علو المنطقة فوق سطح الأرض وارتباطها بالهضبة الأثيوبية وكذلك الأخدود الأفريقي العظيم Pan African Vifvalley Nife وقد تعرضت تلك المنطقة إلى هزات زلزالية في العصر الكاميري وقبل الكاميري أسهم في خلق صروح متقاطعة كما وأن إنحدارها نحو النيل الأزرق ، قد أسهم في انتشار الأودية والخيران الأساسية التي تحمل كميات معتبرة من المياه في فصل الخريف وتكون تلك العوائق بمثابة المحور المعتبر للمياه في اتجاه النيل الأزرق ومن أمثلة الأودية والخيران (دنيا - يابوس - تمند - السلك - جونق - أقد - التركيب - الرهب - خور البورى - خور سنجة - خور حليبة - خور الروم ... إلخ) . (١)

أدى هذا الوضع وبالرغم من أهمية الولاية الاقتصادية إلى عدم وجود الطرق المستغلة بكل تلك المنطقة ما عدا طريق الكرمك والدمازين ، والذي يعتبر طريقاً حيوياً رغم وعورة مسالكه ، خاصة في فصل الخريف ، وكما أن عدم وجود

١ . دراسة مسح جيولوجي لولاية سنار - النيل الأزرق - هيئة توفير المياه والمشروع الأمريكي بالسودان

كباري على هذه الخيران يؤدي إلى عزل المنطقة الجنوبية تماماً في فصل الخريف ، غير أنه وبعد فصل الخريف يمكن التحرك داخل المنطقة بطرق داخلية رغم قسوتها ووعورتها وإرهاقها للقاصد لتلك المنطقة .

ويختلف هذا الوضع كلما اتجهنا شمالاً لولايتي سنار والجزيرة حيث الأراضي الطينية والطرق المسفلطة والمعبدة وانعدام الأودية والخيران الأساسية وسهولة المعابر إلا أن وضع الطرق والكباري لا يعتبر وضعاً نموذجياً ما عدا طريق الخرطوم الدمازين الذي يشكل معبراً أساسياً يربط العاصمة بكل المدن والقرى المنتشرة على أطراف هذا الطريق إلا أن المناطق الشرقية والغربية لهذه الولاية يصعب وصولها أيضاً في فترة هطول الأمطار .

هذا الوضع يحتم على الجهات المسؤولة الاهتمام مستقبلاً بالبنية التحتية والتي ستسهم حتماً في تطور الحياة بكل أمر الدعوة والجهاد في سبيل الله .

ثانياً : الإمكانيات الكنسية :

إن التبشير الكنسي قد سبق الأديان في السودان حيث أن المسيحية دين سماوى سبق الإسلام في الرسالة وتمثل دخول المسيحية في السودان في قيام الدويلات المسيحية (علوة - سوبا) . ويحمد الله دخل الإسلام السودان ثم انتقل إلى مديرية النيل الأزرق بواسطة دولتي العبدلاب والفونج ثم الطرق الصوفية ، منافساً المسيحية بجانب الوثنية التي لم تكن ديناً مطاعاً سوى أنها مجموعة معتقدات هشة تسندها العادات والتقاليد المبنية على هذه المعتقدات .

وقد دخل التبشير الكنسي جنوب النيل الأزرق وركز عمله في المنطقة الجنوبية الكرمك بعد مسح للمنطقة (١٩٣٥ إلى ١٩٣٦م) حيث أدعت حكومة الاستعمار آنذاك بأن المنطقة موبوءة بذبابة التسي تسي فقفلتها وحظرت دخولها على المواطنين القادمين من الشمال . (١)

١ . مقابلة ميدانية مع الدكتور أحمد أبشر الحسن - مدير منظمة الدعوة الإسلامية بالنيل الأزرق ١٩٩٧م .

وكانت ترمى من ذلك إلى هدفين : أولهما قفل هذه المنطقة لدراستها وتهيئتها لدخول التبشير الكنسي والذي يعتبر وجودا عقائديا يجعل من دخول المسيحية هذه المنطقة حزاماً واقياً لأواسط أفريقيا من الإسلام الذي سيفد إليها من الشمال .

وثانيها : أن الاستعمار أراد أن يجعل لنفسه ستاراً ينهب من ورائه ثروات المنطقة الهائلة التي تتمثل في الثروة الحيوانية والغابية والذهب .

ثم دخل التبشير الكنسي الأنجيلي ١٩٣٧م . وأول منطقة دخلها هي منطقة شمال النيل التي تقطنها قبيلة الأدك الوثنية فأنشأت فيها كنسية شالي الإنجيلية ١٩٥٠م ثم أنشأت بعدها كنائس بالمواد الثابتة هي كنسية رمبيك والتي استغلت كمدرسة حتى الاضطرابات الأمنية الأخيرة وكنسية بابوس الكبرى ١٩٧٦م .

- كنسية ودكة ١٩٦٤م .
- كنسية واليلي ١٩٦٤ م .
- كنسية الخير ١٩٦٤ م .
- كنسية بني مايو ١٩٧٦ م .
- كنسية بيه ١٩٦٤ م .
- كنسية سورة (غرب شالي) ١٩٦٤ م .
- كنسية برفه ١٩٦٤ م .
- كنسية البونج (أعلى النيل) ١٩٧٦ م .
- كنسيه قدم ١٩٨٧ م .
- كنسية السمعة ١٩٧٨ م .

ثم دخلت بعد ذلك الكنسية الكاثوليكية عام ١٩٧٧ فأنشأت الكرمك الكاثوليكية ١٩٧٧ بالمواد الثابتة ، ثم كنسية حي الزهور بالدمازين ١٩٨٠م والتي هي الآن الرئاسة - مبنية بالمواد الثابتة ثم أنشأت بعدها كنائس أخرى بالمواد المحلية في

كل من رورو ، أحمد سلك ، بوط ، شالي (كاثوليكية)، بلتوما ، ود النيل ، أبو نعامة . (١)

بل امتد نشاط الكنسية الكاثوليكية إلى شمالي النيل الأزرق في السنوات الأخيرة بعد عام ١٩٨٥م فأُنشئت كنيسات بسكر غرب سنار مبنية بالمواد المحلية والأخرى بالمواد الثابتة بمشروع السوكي الزراعي الذي يقيم فيه حوالي ألف لاجيء من الأريتريين معظمهم من المسلمين ، إلا أن التواجد الكنسي مكثف جدا حيث تعمل ثلاث منظمات أخرى بجانب الكنسية الكاثوليكية هي منظمة الكنائس العالمية ، مجلس الكنائس السوداني (قساوستها سودانيون) ومنظمة Yoy And Me وكلها تتسق فيما بينها وتقدم الخدمات الصحية بجانب الإغاثة . والإغراءات المادية لذوي النفوس الضعيفة كما أنشأت كنسية بالمواد الثابتة بسنجة ، وأكثر من كنسية في سنار بالمواد المحلية بل اتخذت بعض الدور في سنار تعمل ككنائس .

أسلوب التنصير

بدأت الكنسية الإنجيلية تبشيرها بتأليف قبيلة الأدك التي ركزت عليها بعد دراسة مستفيضة ، وكان ذلك بالمعاملة الاجتماعية حيث تقدم الكنسية الملح والسكر والملبوسات لأبناء قبيلة الأدك تقوم الكنسية بدفع سهم كل من يعجز عن دفع سهمه في صندوق اجتماعي أسسته ثم دعته من بعد ذلك للمسيحية مباشرة بالطعن في الكجور استبدال الرب مكان الكجور وبذرت فيهم العقيدة التي تعتمد على أن المسيح هو ابن الله الذي نفخ فيه بواسطة روحه (جبرائيل) فولدت السيدة مريم السيد المسيح عليه السلام . ثم تطور التبشير الكنسي بعد ذلك بإيفاد قساوسة بمستوى أكثر علما ووعيا وخبرة بالتبشير الكنسي ، مثل (PETY) اللتين الآن في أثيوبيا وما زالتا تقومان الآن بالتبشير الكنسي وتقدم الإغاثة للمواطنين بمعسكرات الخوارج في صوري (لانكوي)

١ . مقابلة ميدانية مع مسؤول الدعوة بسكر سنار ١٩٩٨م .

وقد وفرت الكنسية لهؤلاء القساوسة إمكانات حركية كافية ، من عربات الجيب والدرجات النارية ، وأجهزة اللاسلكي بجانب التاكسي الجوي ، الذي يربط شالي النيل بالخرطوم . ووفرت لهم أيضاً العوامل المساعدة في التبشير، من كتب ومسجلات تعمل باليدوسينما متجولة .. ثم أنشأت من بعد ذلك مدرسة بنات تصاحبها عيادة بقرية شالي النيل والتدريس فيها بلهجة الأدك ، ثم غيرت لغة الدراسة فيها إلى اللغة العربية ثم حولتها الحكومة بعد ذلك إلى مدرسة حكومية .

وقد سعت الكنسية كثيراً في تنصير المسلمين وبالأخص حديثي العهد بالإسلام بجانب أنها تبذل قصارى جهدها في إقناع المواطنين بعدم إدخال ابنائهم المدارس بحجة أن المدارس تتبع المسلمين . اكتشفت الحكومة السودانية (حكومة عبود) عام ١٩٦٤م بمعاونة الحكومة المصرية أن الكنيسة الإنجيلية بشالي تعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية فأوقفت قساوستها وأبعدتهم عن السودان . وما كان من الكنسية إلا أن تغير أسلوبها فاتجهت لربط الكنسية بجنوب النيل الأزرق وتبديل قساوستها البيض بآخرين من أبناء المنطقة يتلقون تدريبهم بكنائس أعلى النيل أمثال القسيس رشا محمد نور والذي كان والده من شباب الختمية ، وبعد اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢م بدأت الكنيسة الإنجيلية بإيفاد أبناء الأدك لتعليم اللاهوت والمسيحية في أوربا وأمريكا أمثال فيلب أدريس ، داوود حجر (تمرد) ونمنى توبا وآخرين ، وربما كان لربط الكنائس بجنوب النيل الأزرق بكنائس أعالي النيل ، أو الإقليم الجنوبي كله أثر كبير في إثارة التمرد القائم حيث أن الكنسية أفادت بوجود تبعية جنوب النيل الأزرق إلى الإقليم الجنوبي (حيث كان الجنوب إقليماً واحداً) قبل التمرد عام ١٩٨٢م وحاول القساوسة إثارة ذلك لكن السلطات أوقفتهم عند حدهم .

وبعد ظهور التمرد عام ١٩٨٢ تم جمع أبناء الأدك المسيحيين إلى الحركة ثم تم أخيراً جمع أبناء الأدك عام ١٩٨٧م بعد سقوط الكرمك في أيدي الخوارج .

أما الكنيسة الكاثوليكية فكانت أخطر من الإنجيلية حيث أنها أتت على تمهيد من الإنجيلية بجانب أنها أكثر تطوراً في أساليب تبشيرها . فقد شملت وسائل تبشيرها التعليم والصحة بجانب الإغاثة التي تعمل عليها كثيراً . (١)

ويشمل التعليم الوسائل التالية :

(١) رياض الأطفال :

رياضها مجهزة بكل مستلزماتها وتدرس فيها التربية المسيحية بجانب اللعب والأنشيد .

(٢) محو الأمية :

بلغت فصولها في كنسية الدمازين الكاثوليكية ستة فصول للجنسين ومفتوحة لكل راغب وتدرس فيها التربية المسيحية .

(٣) الإرشاد النسوي :

تدرس فيه الحياكة والتطريز والتدبير المنزلي بجانب التربية المسيحية ومفتوح لكل راغب .

أما في مجال الصحة فتوجد عيادة بكنسية الدمازين الكاثوليكية تفتح ثلاث مرات في الأسبوع رغم الشكوك التي تثار حول كفاءة وأهلية العاملين بهذه العيادة . وقد استخدمت الكنسية في مذهبها أسلوباً جديداً في التبشير هو جمعيات الإغاثة العالمية والتي أغلبها تستخدم الإغاثة كستار لنشر المسيحية بل إنها توزع الإغاثة في مناطق المسلمين والنازحين بعد الساعة الثانية عشر ظهراً . (٢)

يوم الجمعة للهو الناس عن الصلاة ، وتوزع اللبن والبسكويت للأطفال أثناء اليوم الدراسي مما تسبب في تغيب كثير من التلاميذ عن الخلاوى (خلوة العمارة)

١ . التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل .

GEYER TO STOACK ١٩٢١ / ٢ / ٢٢ P.R.Q ٣٨ - ٣٧١ - ١١٣

٢ . مقابلة ميدانية مع رحاب عوض الكريم - باحثة اجتماعية - كلية التربية - جامعة الخرطوم ١٩٩٧م .

والمدارس ...

دخل جزء من المواطنين المسيحيين التمرد، باعتبار أنه يجمعهم مع المتمردين العرف والدين والمصير المشترك حسب فلسفة التمرد .

(٤) جدوي التبشير الكنسي :

رغم الإمكانات الهائلة التي تعمل بها الكنسية فإنها لم تنجح في عملها التصيري إلا في شالي حيث دخل كثير من الناس المسيحية ، ولكنها فشلت في كل من الكرمك وقيسان ورومبيك ويابوس ومناطق الأنقسنا للأسباب الآتية :

- أن الكنيسة لم تخاطب وجدان الناس وفطرتهم بل حاولت فرض معتقدات تتنافى مع الفطرة وهى أن لله والدأ ولد مولود .

- لم تتبع الكنيسة فطرة الإنسان العقائدية بل حاولت إشباع شهواته الدنيوية فأصبحت مرتبطة باللهو والطرب .

- رغم أنها تحاول أن تثبت في أذهان الناس أن المسيحية هى دين الزوج والإسلام هو دين العرب ، إلا أنها لم تستطع الرد على أباطيل زعمها من الذين أسلموا ، مما جعلها مهزوزة عند المعتقدين .

- بعد خروج قساوستها عام ١٩٦٤ واستبدالهم بقساوسة سودانيين انخفض معدل التصير وذلك لعدم اقتناع القساوسة السودانيين التام بالمسيحية كدين ، فهى بالنسبة لهم وسيلة للكسب والعيش الرغد، وفاقد الشيء لا يعطيه .

أما بعد حرب ١٩٨٢م فقد زجت الكنيسة في المنطقة الجنوبية أفرادها في حركة التمرد ، وكانت تحضهم عليه مما أفقدها كثيراً من قوتها البشرية ، بجانب توقف كل الكنائس الإنجيلية يجري الآن بناء كنيسة انجيلية بالمواد الثابتة بحي السكة حديد بالدمازين .

(٥) تجاوزات العمل الكنسي :

ظلت أهداف المؤسسات التبشيرية تغيير الطابع الإسلامي في كل مناحي السودان وجنوب النيل الأزرق بصفة خاصة واتبعت أساليب خارج النطاق

المحدد من قبل الدولة .

لقد سعت أدوات التبشير في تبديل قبائل بأكملها ، كاستهداف قبيلة الأدك التي ركزت الكنسية عليها بعد دراسة مستفيضة حيث سلكت الكنيسة المسلك الاجتماعي ودرست المؤثرات الاجتماعية تحت مظلة التغيير الاجتماعي ودراسة العادات والتقاليد والأغذية التي يتناولها الإنسان في تلك المنطقة . حيث لعبت الكنسية في جانب العطاء الغذائي ومجانية تقديم السكر والملح والملبوسات لابناء القبيلة وأسست بعد ذلك صندوقاً اجتماعياً لتوحيد أبناء قبيلة الأدك وقامت بدفع أسهم كل من يعجز عن ذلك .

ثم دعتهم بعد ذلك للمسيحية مباشرة بالطعن في الكجور واستبدال الرب مكان الكجور وبذرت فيهم العقيدة التي تعتمد على أن المسيح هو ابن الله الذي نفخ في أمه بواسطة الروح جبرائيل فولدت السيدة مريم المسيح عليه السلام . ولما وجدت الكنسية أن هذه التجاوزات في طريقة التبشير ليست بذات جدوى سعت لإيفاد قساوسة أكثر علماً ووعياً وخبرة بالتبشير الكنسي مثل بيني الذي بنى كنيسة رور ، والمستر (بين) بأثيوبيا وما زالتا تقدمان العون للخارج في صدري (لأنلوكي) وقد وفرت الكنسية لهؤلاء القساوسة والجواسيس إمكانات هائلة من عريات للحركة والدراجات النارية وأجهزة اللاسلكي بجانب التاكسي الجوي الذي يربط الخرطوم بشالي .

وأيضاً وفرت لهم الأجهزة الإعلامية مسجلات ، كتب ، سينما متحركة . (١) وقد بعثت الكنيسة أبناء المنطقة لتعليمهم اللاهوت ليعودوا لمنطقة الأدك وهم مبشرون بالمسيحية وقد أوفدوا إلى إدارة أروبا خاصة منهم فليب إدريس ، داؤد حجر وآخرين استفادت منهم في أهدافها الغير مرئية كقيادة التمرد العنصري بالمنطقة واستهداف العنصر المسلم من فلاتة وعرب وغيرهم وخلق فكرة

١ . تم إستقراء هذه المعلومات من الداعية الشيخ الياس جيمس كوكو مسؤول الخلوي بمنطقة النيل الأزرق - باو ١٩٩٨م .

الأماتونج الكبرى وأصبحوا أحد روافد التمرد كعناصر تربوا لمهمة هي مهمة تدمير السودان وخلق القلاقل والفتن وقصة الانفصال وإضافة جنوب النيل الأزرق لخارطة التمرد العنصري والانفصالي جون قرنق في الآونة الأخيرة عام ١٩٨٧م حتى اليوم .

كما وأنهم قوة لا يستهان بها ولا يمكن تجاوزهم ، وباسم المسيحيين زجوا أنفسهم في تنفيذ المخططات الأجنبية كأزرع الجذور الإسلامية والعرب لاستئصالها وقد استطاعوا أن يضعفوا الاقتصاد بإيقاف الزراعة في المشاريع الزراعية المطرية كصرفاتهم في الجنوب وكردفان وغيرها من الحركات الانفصالية حديثة العهد .

وقد كان لربط الكنائس بجنوب النيل الأزرق وكنائس أعالي النيل في الأقليم الجنوبي أثر كبير في إثراء التمرد القائم حيث أن الكنيسة كانت تؤيد وجوب تبعية جنوب النيل الأزرق إلى الأقليم الجنوبي حيث كان الجنوب إقليماً واحداً وهذا أحد أطراف حركة التمرد ، وارتداء ثوب النصرانية للتوسع على حساب العنصر العربي المسلم في مناطق مختلفة ومغلغلة كجنوب النيل الأزرق وقبل عام ١٩٨٣م حاول القساوسة الجواسيس إثارة ذلك ولكن أوقفهم السلطان .

وبعد التمرد عام ١٩٨٣م سقط أبناء الأدك في أيدي التمرد وبعد عام ١٩٨٧م عند سقوط الكرمك ثم كذلك سقوط أبناء الأدك في أيدي الخوارج .

وقد لعبت أدوار الكنيسة الخفية في القيام بالخدمات في مدينة الدمازين خاصة إجبار النازحين من الحرب بحبي الزهور وقنيص شرق وغرب وتوزيع الإغاثة والمواد الطبية خاصة الساعة ١٢ ظهراً يوم الجمعة للهو الناس عن الصلاة وقد دخلت كثيراً من العناصر الأفريقية ، أبناء الجبال المسيحية بحجة

أنهم مصيرهم مصير العرب إن وقعوا في يد التمرد. (١)

ولكنيسة في النيل الأزق وغيرها أساليب اجتماعية تتمثل في :

١ . العمل بإقامة المستوصفات كمستوصف الدمازين المتمكن من الناحية المعمارية وهم يستغلون مناطق الحاجة كذلك شراء الأدوية للمحتاجين .

٢ . خلق علاقات وصادقات مع المسلمين الضعفاء وتنصيرهم وكذلك مع المسيحيين الجدد .

٣ . إقامة مراسيم الزيجات للوافدين والعمال الموسمين وأبناء القبائل بالمنطقة مع المسيحيين الجدد .

٤ . إقامة المساكن الجماعية بالمواد المحلية لتجميعهم حتى داخل المدن كالدمازين سنار .

٥ . إقامة المهرجانات في أعياد الميلاد وغيرها وإرسال كروت عيد الميلاد لمن يراد استمالته . كما في كتابي الحصاد بسكر سنار والسقييات ، تعمل فرق لتأهيل العمل للمهرجانات الدينية والثقافية والأكاديمية وغيرها كما في كمبو الضريسة وكمبو ٦٤ العمرية وكمبو الخرطوم وكمبو (٣٣) بسكر سنار وخلق صداقات خارج الإطار السوداني لإستقبال رصفائهم بالحبشة وأرتريا وعمل تبشير مشترك بين الكرمك السودانية والكرمك الحبشية كمناطق تماس ومناطق التقاء قبلي وتبادل مصلحي .

٦ . تنظيم حلقات محو الأمية والإرشاد الديني في مواقع ، منزل ، ميدان ، أندية كما في مدينة الدمازين ودور الكنيسة الكاثوليكية .

٧ . الاستفادة من يوم الأحد لإيجاد صيغة تقرب بين المسيحيين والجنوبيين والمسيحيين أبناء الجبال .

١ . دراسة قدمت لمؤتمر منظمة الدعوة الإسلامية عام ١٩٩٠م - بمحافظة باو وأنظر التبشير المسيحي بالعاصمة للدكتور حسن مكي ص ١٩ .

ودائماً يعملون لأهداف الكنيسة وتجاوزاتها في ترسيخ المسيحية .

(١) اعتناق تلك المسيحية ديناً لتلك الجماعات .

(٢) التعليم والحديث باللغة الأنجليزية بدلاً من العربية .

(٣) غرس طقوس وعادات محلية مذكشة بطلاء أوروبي .

(٤) كراهية أهل الشمال وغرس عدم الثقة فيهم .

(٥) تضخيم الفروق العرقية بين القبائل المختلفة .

(٦) توليد شعور بالتميز والانفصال عن بقية الجماعات .

(٧) خلق شخصية سياسية لهذه الجماعات أما شخصية محلية أو للسودان عامة .

تم تركيز الدراسة على تجاوزات العمل الكنسي في الإطار السياسي والاجتماعي والاستخباري بصورة واضحة ، نسبة للظروف المرئية التي خلقتها سواثر الأداء الكنسي المعاشة التي استهدفت جنوب النيل الأزرق عبر تاريخ ليس بالقصير فكانت أكلها الزقوم على أهل المنطقة فحياً جهنمياً استعرت لظى العنصرية بين أبناء المنطقة العرب منهم والفلاتة ومجموعة أبناء الجبال المتمثلة في الأدك ، الفونج والبرون ، وغيرهم من الهمج ، القمذ ، الوطاويط وغيرهم من القبائل المسالمة وعلى سجيتها ودورها اللاديني وتخريب حضارات الشعوب الأفريقية وخلق الفتن القبلية والطائفية وغيرها بين أبناء الوطن الواحد والعمل على تأجيج الصراع القبلي ونسف مسببات الوحدة الوطنية ، وهكذا تجاه الأجنبي نحو السودان وأعماله الاستهدافية لأساسيات البلاد .

الخاتمة

الآثار والنتائج

المقترحات والتوصيات

الختام

الحمد الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلني عند حسن ظن المهتمين بالدعوة وأساليبيها وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه . وأن يقبض من يتبع الآثار السيئة لعملية التصير في هذا الإقليم خاصة وفي السودان عامة فيضيئ إلى ما ذهبت إليه ويحذر ويقترح ويوصي بما يُمكن من ردع هذا الزحف الصليبي ووقفه عند حده . فقد تكالبت الهيئات التصيرية على مختلف مشاربها وتواطأت على حرب الإسلام وتدمير المجتمعات الإسلامية . جاءت هذه الرسالة بحمد الله سبحانه وتعالى متأنية لتعالج أساليب التصير في أهم الأقاليم السودانية الذي اتخذها المنصرون طريقاً لحصار الإسلام من جهة جنوب النيل الأزرق واستخدموه استراتيجية جديدة لامتداد الكنيسة الحبشية لاستفادة دولة أكسوم نسبة للتداخل القبلي والاعتقادي في كثير من الطقوس والتقاليد الأفريقية المشتركة عبر الروابط الروحية الخصبة والتي تتمثل في الكجور والسحر واستعمال ذلك في استخراج المعادن النفيسة كما في خور الذهب وأعياد الساييونيغ والتقرب لبعض المعتقدات الخصبة التي تؤثر بصورة مباشرة في خلو رباط التعنصر بين القبائل .

وجاءت الدراسة للتناول المستمر لبعض المرجعيات ذات المعلومات المضللة والتي تتخذ المسيحية منه حجماً كما في العهد القديم والجديد وكل الأدوات المستعملة للتدليل غير مقنعة وكثراً ما تحمل الأخطاء والتناقضات والتحريف العقائدي كزعم ألوهية المسيح وهذه الدراسة تناولت البعد النفسي والتكوين العقائدي لهذه الشعوب .

كما أن البحث تناول مسألة الدعوة وكيفية وطرق فلسفة أدائها واستحداث أساليبها وتقييم مدى آثارها في تلك الجهات النائية وكيف أن المنظمات الإسلامية تناولت بصورة جادة طرق الدعوة المباشرة وغير المباشرة في التأثير على تلك القبائل وتوصيلها .

فوضعت برنامجاً تم تنفيذ جزء كبير منه ، والجزء الآخر ظل دراسات يمكن الاستفادة منها ، تبلورت تلك الدراسات في :

(١) القيام بعمل خلاوى بصورة منتظمة ومتجددة في أداؤها مستحدثة في بنائها .
وأسلوب التعليم فيها حتى يتم ترقيتها لكي تبلغ مصاف المدارس القرآنية في كل السودان مستوحية تجارب جمعية الإصلاح والمواساة .

(٢) التركيز على تقديم الكساء والغذاء لإيواء هؤلاء الأطفال حتى ينموا على الهمم المعنية .

(٣) زيادة الدعاة والمرشدين وتوفير أدوات الترحيل والإقامة بين تلك القبائل حتى يتم التقارب اللغوى و الانصهار الإجتماعي مما يسهل قضية التواصل الدعوي .

(٤) دفع جزء كبير من الزكاة للمؤلفة قلوبهم والمحافظة على هذا المصدر مما يحفظ وجودهم ويطمئن قلوبهم للإسلام .

(٥) تكثيف مسار التواصل الثقافي والمنارات الدعوية بالقوافل الصحية والإجتماعية بين الجهات المثقفة كالجوامع والمعاهد العليا ومناطق النيل الأزرق .

الاهتمام بالعمل النسوى في تدريبهن دعوياً واجتماعياً ومهنياً وتعليمهن مناهج التربية ليخرجن جيلاً يجابه خطط التغيير وفتن لأفكارهم العنصرية والاهتمام بالأطر الدعوية عبر المواجهات التربوية للشباب والطلاب وإقامة الدروس والمحاضرات والمعسكرات التأهيلية الثقافية التي تستنفر من كل طائفة شاب ينذر قومه بالقرآن وعلوم السيرة النبوية والحديث وبقية متطلبات الحياة المعاصرة وتجعل الشباب المسلم يعالج واقعة من منطلق إسلامي .

البحث لإعطاء خطة كاملة لجغرافية النيل الأزرق ومشاكل الدعوة بينها كان عبر التقسيم الجغرافي يناقش كل موقع على حدة ويتناول المناطق ذات التشابه الإعتادي والقبلي وتأتي الحلول بصورة جيدة ودقيقة وفي ذلك تقسيم واضح للعمل الدعوي الجاد .

وهكذا مضت الدراسة لتقف على قضية التنمية والمشاريع التنموية ذات الأثر

التجمعي لأكبر قطاع عمالي متجانس ومتباين الديانات والتعليم الثقافي من أبناء النيل الأزرق والجنوبيين وأبناء الشرق والنوبة وأبناء وسط السودان وكيف أن هذه المشاريع لها الدور الفاعل في الإقامة بصورة كلية في تلك المناطق وجاء نشاط التنمية في السبعينات بعد ارتفاع الأصوات المطالبة بالمساواة في التنمية وعدالة توزيع الثروة واتجهت الاتجاهات السياسية بالاهتمام في هذه المنطقة ووجدت المنظمات التبشيرية وسيلة كأداة لتحقيق أهدافها المسمومة فبثت من خلال تجنيد أبناء القبائل للعمل التصيري وتعמיד بعضهم بل القيام بإعطاء فرص لدراسة اللاهوت والرجوع لجنوب النيل الأزرق ليصبحوا قساوسة محليين ويشرفون على العمل الكنسي المنظم يحاربون الإسلام ويعمون أوروبا وأميركا وخطوطها وما الحروب الأخيرة في النيل الأزرق والعمل على استئصال الإسلام إلا نتاج لتلك الخطط الدسيسة لذا لا بد من دراسة كهذه لمنطقة النيل الأزرق ، وغيرها من المناطق التي تواجه الهجمات التصيرية المنظمة .

الآثار والنتائج :

من آثار ونتائج العمل التبشيري في المنطقة أستطيع أن أعدد الآثار والنتائج الآتية :

- ١ . لم تسمح الكنيسة بتعليم بعض أبناء المنطقة الجنوبية مما أثر ذلك سلباً على تقدم المجتمع المحلي اجتماعياً وتتموياً .
- ٢ . فشلت في جزء من قبائل المنطقة الجنوبية روح العمل وبذرت فيها الكسل والخمول والاعتماد على الغير وذلك بكثرة ما تقدمه من عون مادي .
- ٣ . عملت الكنيسة في تمويلها على قبائل بعينها أثرت في عزل بعض القبائل .
- ٤ . عقدت الكنيسة بعض العادات القروية القديمة وربطتها بتعاليمها كالأزواج بينما قفلت عقول القبائل التي عولت عليها التفكير وأورثتها التبعية العمياء مستغلة في ذلك عقدة الدونية الدينية التي تعانيها تلك القبائل .
- ٥ . أثرت الكنيسة أثراً غير مباشر في إذكاء نار التمرد والحرب الأهلية في السودان .
- ٦ . بفضل دخول المنظمات الإسلامية الطوعية دخلت مجموعات كبيرة من الوثنيين الإسلام .
- ٧ . المسيحية بإمكاناتها الهائلة تقف سداً أمام الإسلام وتستغل ضعف النفوس .
- ٨ . التبشير الإسلامي على عكس الكنيسة له تأثير مباشر على كسر حدة التمرد ويظهر ذلك في قبائل التماس في المنطقة الجنوبية حيث استجاب المسيحيون للتمرد بينما رفض المسلمون التمرد إلا ذوي المآرب الشخصية .
- ٩ . حركة التجار والموظفين برغم من عيوبها إلا أنها ذات أثر إيجابي بالغ في تغيير نمط الحياة الاجتماعية للقبائل الوثنية نحو الأفضل .

المقترحات والتوصيات

(أ) المقترحات

دعم وتمويل ا لنشاط الدعوي بالمنطقة :

يقوم النشاط الدعوي في المنطقة (في الغالب الأعم) على مجهودات فردية غير منظمة ، تقتصر إلى المنهج العلمى السليم المتكامل ، كما تقتصر إلى الدعاة المؤهلين ، هذا إلى جانب انعدام مصادر التمويل إلا من بعض الهبات والتبرعات .
- لذلك وليكون في مقدور النشاط الدعوى مواجهة الحملات المكثفة بامكانات هائلة لا بد من :

أ - تكوين أمانة من المهتمين بأمر الدعوة تتولى مسؤولية العمل الدعوي في المنطقة .

ب - إيجاد جهات تمويل تقوم بتمويل العمل الدعوي على مستوى الأمة بمؤسساتها التعليمية الرسمية والشعبية وبمشاركة الأفراد من الداخل والخارج للمساهمة في إنشاء مشاريع تنموية تكون وقفاً للدعوة في المنطقة .

- إنشاء مراكز تعليمية تسخر لخدمة الدعوة وتأهيل المهتمين ، فالمنطقة ذات كثافة سكانية عالية تتوفر فيها مصادر المياه مما يشجع الاستقرار ، فهي بذلك في حاجة ماسة الى ا لتبشير الإسلامى لذلك نقترح انشاء مراكز دعوية في المناطق التالية :

- يابوس وديم منصور

- السمعة البرون

-منطقة الكرالو

- الرقيق

- ديم سعد

- بالدقل

- فازوغلي

- خور الذهب

- بكوري مرمر

- أمسودة

- أبو قمى

- أم درفة

على أن تكون هذه المراكز من الآتي :

(١) مسجد

(٢) داخلات للطلاب ١٠٠ - ٥٠٠٠ طالب

(٣) منافع .

(٤) منزلين للأساتذة ومساعد طبي

(٥) مركز التدريب الفني

(٦) وحدة صحية

ويمكن الاستفادة من أهل الخلاوي في النيل الأزرق والسودان عامة للاستفادة

من أعمالهم والمساهمة في إقامة مراكز ثقافية إسلامية والله من وراء القصد (١).

إنشاء إدارة تعليمية ودعوية :

لقيام دعوة ناجحة ومؤثرة لا بد من إقامة إدارة تعليمية توفر الآتي :

(١) المنهج : ويقوم على حفظ القرآن ودراسة علومه ، علم الحديث والعلوم

المتعلقة باللغة العربية والفقهية وغير ذلك من العلوم الإسلامية المناسبة

(٢) الدعاة : إعداد وتأهيل الدعاة وتوزيعهم على المنطقة .

(٣) المهتدون : توفير سبل العيش لطلاب العلم وتدريباتهم فنياً ومهنياً للاعتماد

عليهم في تنمية المنطقة .

١ . تم استقراء المعلومات الجولوجية ووعورة المسالك الطرق وتصريف المياه والعمل الدعوى من المهندس

الجولوجي / السر كمال الدين نور المدنية - هيئة توفير المياه بسنار - وقد عمل في الاراضي الواقعة بهذه

المنطقة منذ ١٩٧٨ م .

عوامل مساعدة على نشر الدعوة (وسائل الاتصال)

١ . الإذاعة : تقوية الإذاعة المركزية وعمل إذاعة محلية قوية للتغطية ثقافة إعلامية عالية للنشاط التثقيفي بالمنطقة كما يراعى فيها البث باللهاجات الموجودة في المنطقة.

٢ . وسائل النقل : طريق الدمازين الناصر الحيوى - وجود طريق الدمازين الكرمك يابوس - الناصر الذى يمكن إقامته على المناطق الصخرية على أطراف الهضبة الأثيوبية وهو أسهل وأرخص طريق يمكن تعبئده لربط أجزاء السودان المختلفة . ولهذا الطريق دور حيوى في التنمية المتوازنة ونشر الدعوة الإسلامية حيث يمكن الوصول من الخرطوم الى الناصر في أقل من ٢٤ ساعة .

التوصيات :

- ١ . مراقبة التبشير الكنسي وعدم السماح بإنشاء الكنائس إلا بتصديق السلطات الحكومية .
- ٢ . إبعاد الأجانب من التبشير الديني أياً كان إسلامياً أم مسيحياً حفاظاً على أمن البلاد .
- ٣ . العمل على تكوين جهاز إداري يتبع الشؤون الدينية لمتابعة عمل الخلاوى في إحصائيات الطلاب وحفظهم الخ .
- ٤ . توحيد منهج الخلاوى ومتابعته بواسطة الشؤون الدينية يحتوى على الحفاظ والفقه والتفسير وغيرهما من العلوم الاسلامية
- ٥ . عمل كورسات تأهيلية لتأهيل شيوخ الخلاوى وأئمة المساجد غير المؤهلين بمختلف مستوياتهم.
- ٦ . تنظيم وتعيين استيعاب طلاب الخلاوى بمختلف مستوياتهم بالمدارس النظامية ومعاهد القرآن الكريم .
- ٧ . العمل على قيام مشروعات إنتاجية تنموية مرتبطة بخلاوي القرآن والداخليات .
- ٨ . تشجيع الخلاوى والمساجد في مناطق حديثى العهد بالإسلام وترقيته .
- ٩ . زيادة مخصصات شيوخ الخلاوي وأئمة المساجد وتوسيعها لتشمل الذين لم تشملهم .
- ١٠ . إلحاق المساجد بالشؤون الدينية والأوقاف لدعمها وكذلك إلحاق مكاتب بالخلاوي ورياض الأطفال وإنشاء وحدات صحية .

الملاحق والخرائط والفهارس

١ - الملاحق

- نظرة محايدة لمستقبل التنصير
- نبذة تعريفية عن ساي بونج
- استبيان اخر معلومات عام ٩٨ / ١٩٩٩ م

٢ - خرائط توضيحية :

- قبائل جنوب النيل الأزرق
- أماكن ومساجد و خلاوي الولاية
- الصخور الأساسية في القطاع الاوسط

٣ - مراجع البحث

٤ - فهرس الموضوعات

ملاحق

نظرة محايدة لمستقبل التنصير خطورة المسيحية في المجتمع الصناعي بالنيل الأزرق وكيفية مقاومتها :

منذ بداية حركة التصنيع في السودان ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحركة نزوح واسعة ونسبة لظروق الحياة ومتطلباتها لجأت مجموعات كبيرة من القبائل لكسب العيش خاصة قبائل جنوب السودان من الدينكا والشلك والزاندي وجنوبي منطقة أبو يبي وبورو وأخيراً قبائل النوير ، ونسبة لقلة تكلفة هؤلاء العمال وعدم تقيدهم بتكاليف السكن والإعاشة العالية واعتماد الدولة عليهم في الأعمال الشاقة خاصة أعمال الحصاد والزراعة تركّز الاعتماد عليهم بصورة أوسع في مسالة الحصاد خاصة وارتباطهم بها بصورة وثيقة وإمكانية تحملهم بكنابي الحصاد ومعسكراته وذلك لقلة الآلة الحاصدة وأي وسيلة تكنولوجية أخرى . (١)

الظروف الاجتماعية التي يكمن أن تربط بين قبائل الجنوب في مناطق الإنتاج والتصنيع وتركز إدارة هذه القبائل عبر سلاطين محدودين من مناطق نزوحهم الأصلية ، عادات وتقاليده هذه المجتمعات التي لم ترتبط بأي حال ن الأحوال لجهات أخرى عربية أو قبائل مناطق التصنيع .

وللارتباط الدائم بصورة متواليه في مواسم الحصاد بالنسبة للسكركسب أساسى لمجتمعهم نظموا أنفسهم على الأعمال الأخرى كصناعة الطوب والعمل بالزراعة المطرية والذهاب لمشاريع في مناطق القضايف والدالي والمزموم والدمازين ومشاريع جنوب النيل الأزرق كمشروع التكامل ويكل مصانع للسكرك والأخشاب والفحم والصناعات الصغيرة بمنطقة النيل الأزرق . هذه القبائل

١ . مقابلة ميدانية مع الشيخ على آدم - إمام مسجد كمبرو الهدى بمصنع سكر سنار ١٩٨٩ م .

ركزت حيلتها الغذائية على صناعة الخمر البلدية وشربها نسبة لتوفر الذرة في كل مواقع الانتاج.

لذلك نزلت قبائل أخرى من غرب السودان من ولاية جنوب كردفان مثل قبائل النوبة هببات كرنفو . عبدالله ، تيرة ، كواليب ، دلنج ، وغيرهم من قبائل النوبة . ارتبطت هذه القبائل بالثالث البغيض الفقر والجهل والمرض والذي يهيمن على سكان المناطق الصناعية وحتى تجد الدعوة الإسلامية الظروف الملائمة للانتشار بين المواطنين فإن الفقر أحد أركان هذا الثلاثون هو الغذاء ويكون أمراً ضروريا لسكان هذه المنطقة لكي لا يجد النشاط الكنسي منفذا لتحريك نشاطه عبر الغذاء والكساء والدواء ولكي يستطيع مواطنوا كمبو الهدى الذي كان يسمى سابقا رأس الشيطان بسكر سنار ولماطني المنطقة الصناعية سنار ومناطق الكدالو وجبال الانقسنا والكرمك ومناطق التصنيع بابي نعام . فلا بد من توفير مشاريع زراعية للمواطنين لكي يوفروا قوتهم وإيجاد كل أسباب المدخلات الزراعية والإشراف الفني إجراء الدراسات اللازمة لتلك المشاريع وتحديد الجهات المساهمة في تنفيذها وتقريب القيادات المحلية مشاركة في إزالة المعوقات ووضع البدائل والحلول للمشاكل التي تواجه سير العمل خلال مراحل التنفيذ تتلخص في الآتي : (١)

- ١ . تحسين الوضع الاقتصادي .
- ٢ . تحسين المستوى الغذائي
- ٣ . الاكتفاء الذاتي من الغذاء للمواطنين .
- ٤ . تطوير المنطقة الصناعية وتقليل الهجرة الى المدن .
- ٥ . محاربة أنظمة الاحتكار للعمالة وغيرهم .

١ . مقابلة مع السيد / أبو ادريس الريح عوض الكريم - مدير مصنع سكر سنار - ١٩٩٨م.

٦ . دور التعاون المهم كمرور أساسى في عملية التنمية وذلك عن طريق تجميع الإمكانات المتاحة وتوظيفها وتنظيمها مع العمل لإيجاد مصادر تمويلية أخرى للعديد من مشاريع التصنيع والاستفادة من الخبرات المتخصصة ونجد جمعيات الصحية مثلا (٨) جمعيات بمناطق النيل الأزرق وفي كل فريق صناعي بسكر سنار ومصانع القوار والصابون ومصنع كناف أبي نعام .

هذه الجمعيات الاستهلاكية التعاونية لها دور بارز في استقرار المنطقة وزمنها وهذه المشاريع بجانب مشاريع التنمية الزراعية الريفية تسهم في تطوير الجهات الصناعية واطروحاتها وتعمل بصورة مباشرة في :

١ . ترقية الأداء العملي للمجتمع الصناعي .

٢ . التأثير في تنظيمات العمل الرسمية والغير رسمي .

٣ . إيجاد سلوك جديد لتداخل القبائل النازحة من مناطقها إلى المناطق الصناعية وهذا يسهم في صناعة التغيير حسب الاحتكاك والمناخ بين هذه القبائل وقبائل المجتمع الصناعي المستقرة .

٥ . النشر الواسع للثقافة الإسلامية وذويان الثقافات الأخرى ، نسبة لقوتها وضرورتها لاعتناق أغلبية الموظفين والعمال للعقيدة الإسلامية .

٦ . تقليد العادات العربية النابعة من أصل الدين الإسلامي نسبة لفرض هذه العادات نفسها والعمل بتقاليد (القيادات العليا في كل شئ) وهذه ظاهرة طبيعية للتأثر بالقدوة في مجال العمل وكل هذه الأوعية لها دور في نشر نظم وفكر الثقافة الإسلامية .

٧ . أخيراً دور المؤسسات الإسلامية في خلق الانتماء إلى المساجد والخلاوى والمدارس والمنظمات الإسلامية والمراكز الصحية والمجتمعات الإسلامية التي تقدم نموذجاً بمفاهيم النموذج الصليبي والكنيسي . (١)

١ . مقابلة ميدانية مع الداعية - عبده عبد الله - مدير إدارة شؤون الدعوة بمصنع سكر سنار ١٩٩١م.

ملحق (٢)

نبذة تعريضية لعيد ساي بونج :

ساي بمعنى مريسة بونج اسم للشخص وهو مؤسس هذا العيد . كان هذا الرجل الذي يدعى بونج يجمع كبار القائمين على العادات بالاحتفال بهذا العيد وهو عيد المريسة ويكون هذا العيد على رأس كل سنة جديدة تصنع فيه الخمور بكثرة لذلك سمي بساي وهو المريسة وكل شخص له ميت سابقاً ملزم بشراء ملابس جديدة للميت سواء كان رجلاً أو امرأة ويبدأ هذا ببسط البرش داخل القطية المخصصة لذلك ويؤتى بالملابس الجديدة وتوضع الملابس في جانب البرش المفروش أو السباتة ثم يوضع الكسرة وتوضع الخمر ثم يوضع الزيت في الوسط وإذا كان كرامة تذبح ويصنع طعام إدامة يكون خالياً من الشطة خوفاً من أن تحرق وتضرب القرون (جل مالوما) ويمسح المحتفلون الزيت وتربط الأزر ويحملون الريابات الكبيرة التي تسمى (ملي) فالذين يحملون الريابات يطوفون الحلة ويشربون الخمور ويأخذون الدجاج من البيوت وتؤخذ مبالغ إن وجدت لأن هؤلاء هم فرقة الفنون . أما بقية الناس وهم أعيان المنطقة وأصحاب العوائد وكبار السن وبعض الشباب والنساء والأطفال يربطون الدمورية المحلية وهي القنجة وترتفع أصواتهن بالزغاريد هذه الخمرة تتجه إلى البيت الكبير أى البقعة المقدسة مثل بيت كامول وطيقو وفي فادمية وقبانيت وهذا الأمر يعم المنطقة بأجمعها ويحمل الرجال الحراب والكلبيات والتريماشات المصنوعة من شجرة البابنوس وأيضاً الرومة وعندما يصلوا إلى البقعة المقدسة يخرج السادن للبيت المقدس ويتقدم الناس ويقف أمامهم ويقول (مين بي) معناه جدنا قال : وهنا يسألون جدهم إن كان هناك حرب أو عدو أو حشرة ضارة بالزرع أو لم تهطل الأمطار يسألونه ... بأن يدور الشر ويأتي بالخير وينزل الغيث . ويعد هذا التضرع يخاطبون (المين) ويقولون له نحن عبادك ضعفاء ولازم تقف معنا وتساعدنا وبعد هذا التضرع يخاطب السادن جميع الموجودين رجالاً ونساءً بأن

الغرض الذى جمعهم في هذا اليوم قد انتهى بسؤال المين ويعد ذلك يقول كل الأمر للمين .

ونتظر النتيجة وقبل أن يختم السادن كلامه تضرب القرون ويتحرك هو أمام الناس والناس خلفه . وبعد أن تتفرق الجماهير من مكان البيت الكبير يتجهون إلى بيت السادن ويقومون بوضع التمباك وعظم الخنزير مع ورق شجر الصباغ في النار ويجهزون دخانه نحو العدو المرتقب .

من الأشياء الغريبة في هذا العيد أنه إذا كان الميت قريب عهد بالعيد أو مات قبل أن يقوم ، يذهب ذووه رجالاً ونساء ويحملون معهم قرناً له صوت قوي يتوجهون إلى مكان القبر ينادون يا فلان تعال لنذهب إلى المنزل ويفرش البرش على قبر ويكون معهم نار وزيت سمس ودجاجة بيضاء خالصة ويطلقون الدجاجة لتضرب بأجنحتها على القبر ويوقدون النار ثم يطفونها بالزيت ويغطون البرش باعتقادهم أنهم أخذوا الميت وهنا يتقدم رجل مسن ومعه حربة وكليته وعصابة ويقول كداب وتكون خلفه امرأة عجوزة تغني بالأغاني القصيرة وعند عودتهم من المقبرة وقد حملوا معهم الميت بزعمهم يقوم باللعب بالزمبارة والجل والريابة وبعد أن يلعب الناس تماماً يقوم صاحب البيت ويوقف اللعب ثم يقول طبعاً نحن لا ندري ما نقوله طبعاً الزول بتاعنا دا كان في الهواء والشمس والآن جنباه في المنزل ليمكث في مكانه الذي نضعه فيه نطلب منه ألا يمس الأطفال الصغار بالمرض وألا يتعدى على أحد فيقتله وبعد المخاطبة يستمر اللعب إلى الصباح . وإذا جاء العيد في السنة الجديدة يتم شراء ملابس جديدة له كما ذكرنا من قبل . وهذا ما يخص بالساي بونج) .

ملحق (٣ / ١)

ولاية النيل الأزرق

استبيان آخر معلومات عن عام ٩٨ / ١٩٩٩م

عن عدد الكنائس ونشاط التبشير

الولاية	الإحافطة	عدد المراكز	عدد الكنائس	عدد القسيسين	المبشرين	طوائف أخرى
النيل الأزرق	الدمازين باو		١١ كنيسة	٢ قسيس ٥ طوائف أخرى	١٥ مبشر	٧ طوائف أخرى

عدد المستهدفين للتبشير	الذين أسلموا	جمع الدعم	الغرض من تقديم الدعم
حوالي ٥٠٠ فرد	٣٥,٠٠٠	مجلس الكنائس بالخرطوم منظمة سودان أين منظمات خارجية	تفعيل العمل المسيحي والتبشيري

ملحق (٣ / ب)
ولاية النيل الأزرق
التمويل واللجان المساعدة للنشاط الكنسي

اسم اللجنة	اسم الكنيسة	جمع التمويل	نوع الدعم المقدم
لجنة العدل والسلام	الكنيسة الكاثوليكية	مجلس الكنائس بالخرطوم	الدقيق الاسترالي
النهضة المسيحية	الكنيسة الأسقفية	منظمة سودان ايد	بن - سمن - ذرة فول مصري
التضامن المسيحي	الكنيسة الداخلية	منظمة أديت	قمح - بطاطين خيام - ملابس
سودان اين	الكنيسة الكاثوليكية	باقي منظمات خارجية	كراسات - عجلات كتب - مواثر
	كنيسة ضوة كرسطي		عربات - عيادات علاج

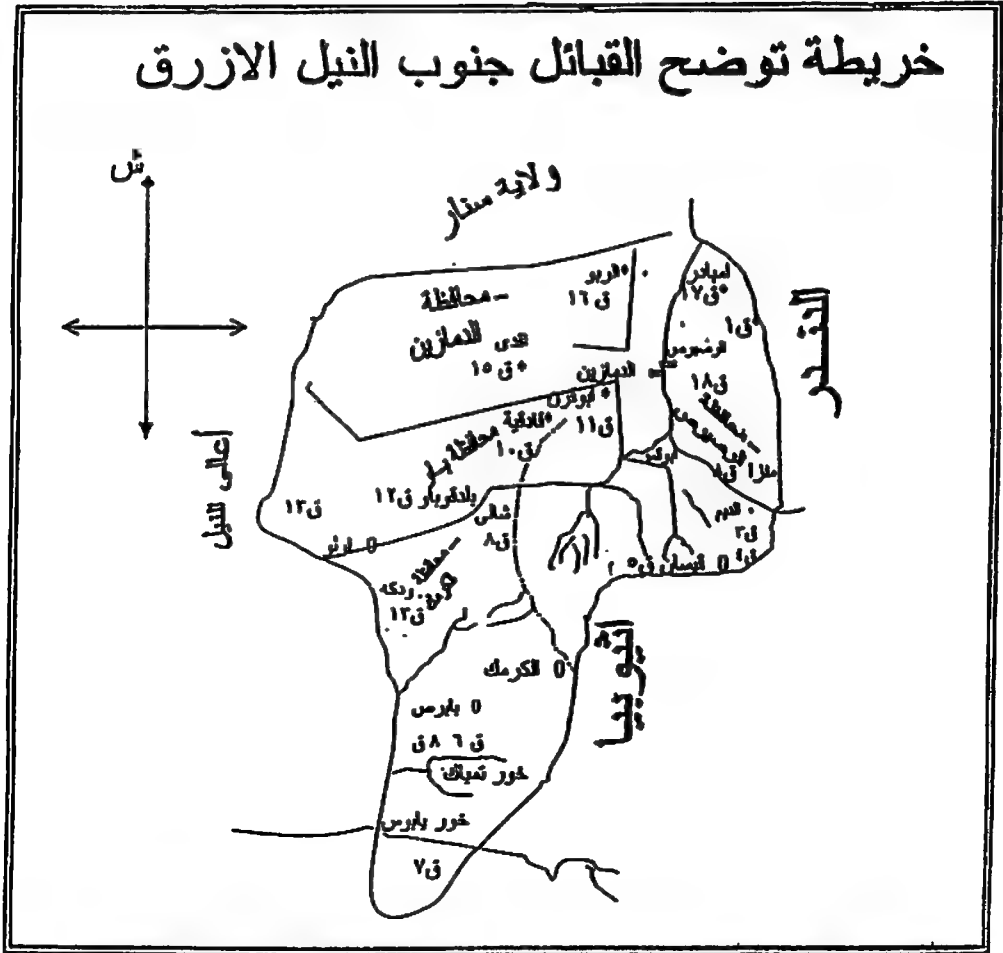
العدد الكلي لمسيحيين سابقا في الولايات الوسطي	عدد المستخدمين من المسلمين لتتصيرهم	الذين اسلموا من النصاري	الغرض من تقديم الدعم
٩٩٠٠٠ نسمة	حوالي ٢٠٠٠ فرد	حوالي ٢٠٠٠ فرد	لتفعيل العمل المسيحي التبشيري

ملحق (٣ / ج)
ولاية النيل الأزرق

الولاية	المحافظة	عدد المراكز	عدد الكنائس	اسم القيس	المبشرين	العمالة
سنار	سنار	١٠ مراكز التابعة له مركز ٤٤ ود تكتوك مايرنو - ود الحداد - كمبو - الخرطوم - الحلة الجديدة - سكر سنار - القلعة وسط - ابابين - جبل دود	٣ كنائس كبيرة القديس يوسف الكاثوليكية	وليم دينق انسورة برنابا ماركوتوري	١٢ مبشر وليم قويك بيتر منجلوك بيترقلواك موسس قليم أكيك	٣ قسيس ٤ سسترات ١٤ مبشر
سنار	سنجة	كمبو الوحدة (نوبة)	الكاثوليكية		جوزيف ماركة جميس أريج	
سنار	سنجة	٥ مراكز ٢ حى القلعة وسط مدينة السلام - مصنع سكر سنار التقاطع - مدينة السلام	الاسقفية واحدة كبيرة القبطية سودان الداخلية	حنا جرجس دانيال دينق	٣ مبشرين محمد متيوس عبد الله موسي الزبير	٢ سسترات
سنار	سنار	٤ مراكز واحدة قبطية سودان داخلية	٧ كنائس ٣ كاثوليكية ٢ اسقفية ١ قبطية ١ سودان داخلية		١٩ مبشراً	٩ مبشر ٦ قسيسين ٧ سسترات

المصدر : استقراء هذا الاستبيان من قسيس من الكنيسة الكاثوليكية بالدمازين .

خريطة توضح القبائل جنوب النيل الأزرق



المفتاح لعمام الخريطة ولاية النيل الأزرق

قبيلة	ق
خور	خ
محافظة	م
مدينة	د

مفتاح للقبائل

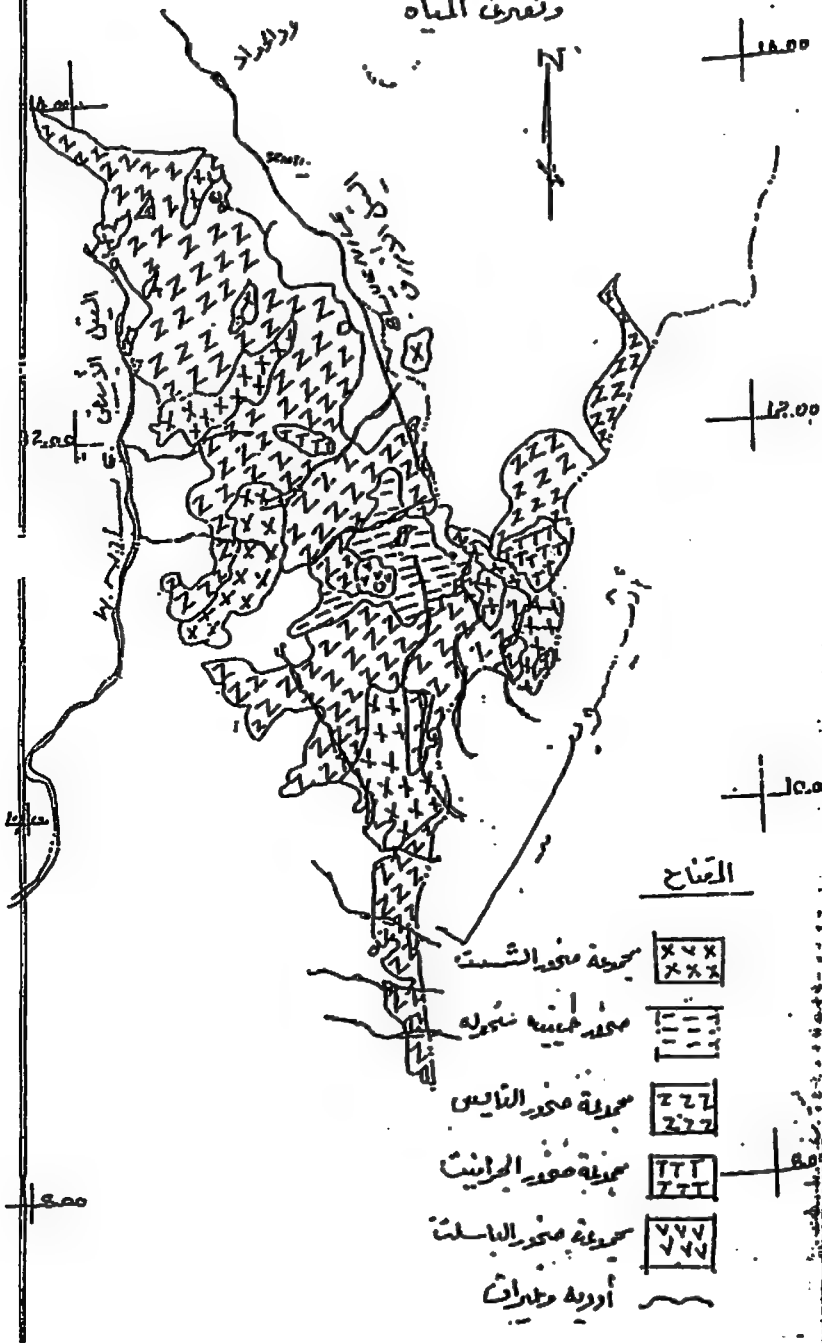
١ ق	مكروين
٢ ق	مولا
٣ ق	الذمالة
٤ ق	البركا
٥ ق	غومسا
٦ ق	السر لكة
٧ ق	اللاكلة
٨ ق	الماين
٩ ق	لاك
١٠ ق	القضا
١١ ق	لاك والقضا
١٢ ق	بلدك
١٣ ق	ماين
١٤ ق	البركا
١٥ ق	السرور (اللاكة)
١٦ ق	اللاكة
١٧ ق	كولج
١٨ ق	ميج
١٩ ق	اللاكة

A hand-drawn map of the Latakia Governorate (ولاية لatakيا) showing its districts (مناطق) and towns (بلدات). The map includes labels for districts like Hama (حماة), Tartus (طرطوس), and Latakia (لatakيا), and towns such as Tartus, Baniyas (بانياس), and Latakia. A compass rose indicates North (شمال) and South (جنوب).

محافظة الكرك ١٨ خلوة			محافظة بادر			منطقة قيسان		
القرية	الخلوة	مسجد	القرية	الخلوة	مسجد	القرية	الخلوة	مسجد
الكرك	١	٣	بادر	١	١	قيسان	١	١
كركمك	٢	-	بالقرية	١١	١	مرمز	١	١
باهر ص	١	١٠	ميك	١	١	لواشين	١	-
جوط	١	١	لولو	١	-	خرطوم بقليل	١	-
لقد	٢	١	كلفته	١	١	حلة الخبز	١	١
بالورة	١	-	اللورانية	١	١	بكوري	١	١
بدر شكم	١	-	دور السلام	١	-	كبرى للديم	١	-
لوروا	١	١	جام	-	١	كشكر	١	-
شام	١	١	فادمية	-	١			
لورا	-	-	لدورا	١	١			
مال	-	-						
ملا	١	١						
مقب	-	-						
لكيل	١	١						

خريطة القطاع الاراضي

توضح مجموعة الصخور الاساسية
وتعريف المياه



فهرس المصادر والمراجع

(أ) القرآن الكريم	
(ب) المراجع العربية	
١	أخطاء يجب أن تصحح فى أفريقيا : تأليف : جمال عبد الهادي ومحمد مسعود . ود . وفاء محمد رفعت - دار الوفاء للطباعة - المنصورة ، ش . م . م ، ط٢ .
٢	أخطاء العزو الفكرى للعالم الاسلامي ، تأليف د. صابر طعيمة - الطبعة الأولى - عالم الكتب دون تاريخ .
٣	أساليب العزو الفكرى للعالم الاسلامي ، تأليف د. على محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق - الطبعة الثانية دار الاعتصام .
٤	الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - بدون ذكر مؤلف ولا تاريخ الطبعة أو النشر .
٥	الاسلام (وجه التغريب) تأليف أنور الجندى - طبعة دار النصر - الناشر - دار الاعتصام - القاهرة بدون تاريخ طبعة ولا نشر .
٦	بحث عن جنوب النيل الأزرق (المشروع الأمريكى) - الزبير أحمد طميل .
٧	تاريخ أوربا الحديث - تأليف : أ . ل فسر . ترجمة أحمد بخيت طبعه (٧) دار المعارف سنة ١٩٧٦ م .
٨	تاريخ السودان - تأليف : صالح ضرار .
٩	تاريخ السودان - تأليف : نعم شقير - تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم - بيروت دار الجيل سنة ١٩٨١ م .
١٠	تاريخ شعوب وداي النيل - تأليف : د . مكى شببكة - الطبعة الأولى - دار الثقافة بيروت - سنة ١٩٦٥ م .
١١	التبشير المسيحي فى العاصمة القومية - تأليف د. حسن مكى سنة ١٩٩٠ م .
١٢	التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل - تأليف P.R.Q سنة ١٩٩٠ م .
١٣	تطور التعليم فى السودان تأليف دكتور : محمد عمر بشير .
١٤	تقرير لجنة التعليم والصحة عن سياسية التعليم فى شمال السودان الموجه للحاكم العام سنة ١٩٢٣ م .

١٥	التصوير خطة لغزو العالم الإسلامي . أستاذ . محمد شريف الزبيق جامعة المدينة المنورة طبعة ١٩٧٢ م .
١٦	خطاب اللورد كرومر الى سير غورث سنة ١٩٠٨م .
١٧	خطط المشاريع المنتجة لقسم الرعاية الاجتماعية بمنظمة الدعوة الاسلامية عام ١٩٨٩م .
١٨	دراسة أسباب النزاع فى جنوب السودان - تأليف د. محمد عمر بشير - ترجمة : أسعد حليم - الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١م .
١٩	دراسة جوليحية لمناطق النيل الأزرق عبر هيئة توفير المياه والمشروع الأمريكى سنة ١٩٩٥م .
٢٠	دراسة عن اللهجات المحلية سنة ١٩٩٩م - الأستاذ / مصطفى محمد على سعيد مدير معهد التأهيل التربوى بسنار
٢١	دور الأزهر في السودان - تأليف : محمد سلسمان .
٢٢	سنن أبى داؤود للحافظ أبى داؤود السجستانى الأزهرى - دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٩٣هـ - ١٩٧٤م .
٢٣	السودان عبر القرون - تأليف : مكى شبكية - دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١م .
٢٤	السيرة النبوية للإمام الحافظ أبى الفداء اسماعيل بن كثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد - نشر دار المعرفة - بيروت - ط ١٣٩٦هـ .
٢٥	كتاب الطبقات خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء (محمد النور بن ضيف الله) تقديم د . يوسف فضل حسن اصدار التأليف والترجمة - جامعة الخرطوم - الطبعة الرابعة ١٩٩٢م .
٢٦	الغزو الفكرى - أسبابه ووسائله - تأليف د. عبد الصبور مرزوق - الطبعة الثالثة - بدون تاريخ ولا نشر .
٢٧	الغزو الفكرى فى مناهج التعليم فى السودان - أهدافه ووسائله وآثاره فى العقيدة
٢٨	

- والأخلاق ، الدكتور عبد الله عبد الحى أبوبكر ، رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٢هـ - ١٩٩٥م .
- ٢٩ قضايا اللغة والتدين فى الأدب الأفريقى - تأليف أمبابي لويبر - دار جامعة أفريقيا سنة ١٩٩٥م .
- ٣٠ مشاكل التبشير المسيحى فى السودان .
- ٣١ مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها ، وأثر السياسة البريطانية فى تكوينها - تأليف د. مد الرحيم - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م .
- ٣٢ المقاصد الحسنة - للإمام السخاوى - طبعة دار الكتب مكة المكرمة - بدون تاريخ .
- ٣٣ مكانة تعليم القرآن الكريم من مناهج التعليم الحديث د. عبد الله الطيب .
- ٣٤ موسوعة تاريخ العالم (السودان وأفريقيا) .
- ٣٥ ورقة النشاط المسيحى فى أفريقيا - قدمها د. عبد الرحمن أحمد عثمان - المركز الاسلامي بالخرطوم عام ١٩٨٥م .
- ٣٦ ورقة قدمت لمؤتمر المشايخ بالدمازين سنة ١٩٨٩م تحت رعاية والى ولاية الوسطى عبد الوهاب عبد الرؤوف .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
ب	الأهداء
ج	شكر وعرفان
د	كلمة البروفسير الزبير بشير طه - وزير العلوم والتقانة
١١	المقدمة
١٥	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
١٧	منهج البحث
١٩	العقبات التي واجهت الباحث
٢١	خطة البحث
	الفصل الأول :
٢٣	المبحث الأول : حركة التصير في أفريقيا
٢٥	• تمهيد دخول الإسلام في أفريقيا
٢٦	• المطلب الأول : دخول النصرانية في أفريقيا
٢٩	• المطلب الثاني : دخول النصرانية في شمال أفريقيا
٣٠	• المطلب الثالث : بعض وسائل النصرانية في شمال أفريقيا
٣١	المبحث الثاني : إحكام الحزام التصيري على أفريقيا
٣٥	الفصل الثاني : التصير وسائله وأساليبه في النيل الأزرق
٣٧	❖ تمهيد : دراسة المنطقة (جغرافية النيل الأزرق)
٣٩	المبحث الأول : مفاهيم التركيز على المناطق المختلفة والرؤية التصيرية منذ الاستعمار
٤٥	المبحث الثاني : التدثر بالأعمال الخيرية
٦٣	المبحث الثالث : دراسة اللهجات المحلية

رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث :
٦٧	المبحث الأول : الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة
٦٩	المطلب الأول : دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية
٨٠	المطلب الثاني : الكوادر المخلصة
٨٩	المطلب الثالث : انتشار المراكز الدعوية
٩٣	المبحث الثاني : معوقات العمل الدعوي
٩٣	• أولاً : وعورة المسالك
٩٤	• ثانياً : الإمكانات الكنسية
١٠٧	الخاتمة
١١١	• الآثار والنتائج
١١٣	• المقترحات والتوصيات
	الملاحق والخرائط
١٢١	• الملاحق
١٣١	• الخرائط
١٣٥	• مراجع البحث
١٣٩	• فهرس الموضوعات